

الاستقلال الحضاري
د. محمد عمارة
نهضة مصر

الاستقلال الحضاري

تأليف

د. محمد عمارة



اسم الكتاب: الاستقلال الحضاري
المؤلف: د. محمد عمارة
إشراف عام: داليا محمد إبراهيم
تاريخ النشر: الطبعة الأولى - يناير 2007م
رقم الإيداع: 2006 / 22873
الترقيم الدولي: ISBN 977-14-3830-4

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة
ت: 3472864 (02) - 3466434 (02) فاكس: 3462576 (02) ص.ب: 21 إمبابة
البريد الإلكتروني للإدارة العامة للنشر: Publishing@nahdetmisr.com

المطابع: 80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من أكتوبر
ت: 8330287 (02) - 8330289 (02) فاكس: 8330296 (02)
البريد الإلكتروني للمطابع: Press@nahdetmisr.com

مركز التوزيع الرئيسي: 18 ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة - ص.ب: 96 الفجالة - القاهرة
ت: 5909827 (02) - 5908895 (02) فاكس: 5903395 (02)

مركز خدمة العملاء: الرقم المجاني 08002226222
البريد الإلكتروني لإدارة البيع: Sales@nahdetmisr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 408 طريق الحرية (رشدي)
ت: 5462090 (03)
مركز التوزيع بالمنصورة: 47 شارع عبد السلام عارف
ت: 2259675 (050)

موقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmisr.com
موقع البيع على الإنترنت: www.enahda.com



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

كلمـــة

[إن المقلدين للتمدن الغربي إنما يشوهون وجه الأمة، ويُضيّعون ثروتها، ويَحُطّون من شأنها

إنهم المنافذ لجيوش الغزاة، يمهدون لهم السبيل، ويفتحون لهم الأبواب!!]

جمال الدين الأفغانى

كلمـــات

قديم هو ذلك الصراع بين أمتنا وبين الغرب الاستعمارى.

■ فالقهر البيزنطى حلقة قديمة فى سلسلته.

* * *

■ والحروب الصليبية قد مثلت حلقته الوسيطة.

■ والغزوة الاستعمارية الحديثة هى ذروة هذا التحدى التاريخى والحضارى الذى استهدف -ولا يزال- كيان أمتنا وذاتيتها وإمكاناتها..

■ وربيب هذه الغزوة الحديثة: الكيان العنصرى الصهيونى.. هو الشريك الأصغر فى التحدى المعاصر الذى هو امتداد لهذا الصراع القديم"

* * *

ولقد تميزت المراحل القديمة فى هذا الصراع الحضارى بوضوح الرؤية لدى أمتنا إزاء هذا الغرب الاستعمارى الذى ما فتئ يقذفنا بحملات الغزو ومحاولات الإبادة وموجات النهب والاحتواء.

لكن الأمر لم يعد كذلك فى ظروف صراع أمتنا ضد الغزوة الاستعمارية الحديثة، لا لخفاء أهدافها وغموض نواياها، وإنما لما حملت معها من «فكر» كانت أمتنا فى حاجة إلى كثير منه كى تنهض وتعوض ما فاتها فى حقب الجمود والتخلف التى حكمها فيها وتحكم فرسان المماليك وسلاطين آل عثمان.. ولما تضمنه هذا «الفكر» من جوانب مثلت «عوامل استلاب» حاول بها الغرب الاستعمارى -ولا يزال- احتواء أمتنا، وطمس معالم تمايزها واستقلالها، وتشويه معرفتها بذاتيتها.. وصولاً إلى تجريدها من طاقات الثورة فى سبيل النهضة والاستقلال!

ولذلك وجدنا -ونجد- «الموقف من الغرب».. قضية من قضايانا الفكرية الخلافية.. على عكس ما كان عليه موقف أسلافنا الذين واجهوا هذا الغرب تحت أعلام الفتوحات العربية الإسلامية.. ومن خلف أبطالنا القوميين الذين مثل نموذجهم: الناصر صلاح الدين الأيوبى.. واجهوه بتمايز كامل وواضح فى المواقع والمواقف، بلغ مرتبة تمايز «الكفر» عن «الإيمان»..

بل إن خلاف حركتنا الفكرية حول الموقف من الحضارة الغربية كاد أن يصبح ثغرة عظمى تجعل بأس مفكرينا ومثقفينا بينهم شديداً، الأمر الذى يصيب طاقاتنا الفكرية بنزيف يسلم إلى الضعف والهزال؛ فبينما نجد:

■ «سلفية نصوصية» تسعى إلى معاكسة قوانين التطور، التى هى سنة من سنن الله فى الكون والمجتمع، وتجاهد لصب الحاضر والمستقبل فى القوالب التى صنعها «سلفها الصالح» فى عصور الجمود والتخلف تحت حكم المماليك وتحكم العثمانيين!!

■ نجد «سلفية نصوصية» «متغربة»، تسعى هى كذلك لصب حاضرنا ومستقبلنا فى القوالب التى صنعها «السلف الغربى»- بدءًا من اليونان القدماء، وحتى نهضة الأوروبيين المحدثين!

وإذا كان الخيار الأول سيقودنا إلى «انغلاق» يقف بأمتنا عند «التخلف الموروث» الأمر الذى سيعجزها عن تقديم البديل وإبداع المشروع الحضارى الكافل لنهضتها وإفلاتها من قبضة الهيمنة الغربية، فإن الخيار الثانى سيقود الأمة إلى «التبعية» للمركز الحضارى الغربى، وهى تبعية يسعى إليها الغرب ويسمح بها شريطة ألا تتعدى إطار سلبيات وأمراض نموذجه الحضارى، الذى كاد أن يبلغ نهاية الطريق المسدود!

ولأننا نرفض الاستسلام لأى من هذين الخيارين، كانت صفحات هذا الكتاب الساعى إلى التبشير بطريق ثالث ومتميز فى هذا الصراع الدائر حول الموقف من الحضارة الغربية.

■ طريق التمييز - فى موروثنا - بين «الثوابت» وبين «المتغيرات».

■ طريق النضال من أجل الحفاظ على نقاء الهُوِيَّة الحضارية للأمة، فى وجه محاولات المسخ والنسخ والتشويه الذى تمارسه فكرية «التغريب» وتيار «المتغربين».

■ طريق فتح نوافذ العقل على مختلف الحضارات، من موقع الراشد المستقل، الباحث عن عوامل القوة، يدعم بها ذاتيته المتميزة ونهضته الحضارية المستقلة.. والرافض لكل عوامل الاستلاب لشخصيته القومية وللسمات التى ميزت حضارة أمته عبر قرون تاريخها الطويل والمجيد.

تلك هى الرسالة التى تحاول الوفاء بها صفحات هذا الكتاب عندما تعالج هذه القضية المحورية من خلال دراسات ثلاث، تمثل أقسامًا ثلاثة في هذا الكتاب:

١- الاستقلال الحضارى.. وماذا يعني فى النهضة المنشودة لامتنا..؟

٢- العلاقة بين «موروثنا» العربى الإسلامي وبين «الوافد» الغربى.

٣-نموذج تطبيقي لهذه العلاقة، من خلال دراسة موقف واحدة من أعرق مؤسساتنا الفكرية والتعليمية [الأزهر] موقفه من «التغريب».

فإذا نهضت هذه الصفحات برسالتها، فحملت ما قصدنا إليه إلى الباحثين والقراء كانت سعادة الكاتب الذى يحمل هموم أمته، ويناضل لتنوير طلائعها بمخاطر التحديات التي يفرضها عليها أعداؤها الكثيرون!

والله من وراء القصد.. وهو ولى التوفيق.

د. محمد عمارة

١

الاستقلال الحضارى

... مقدمات تمهيدية ...

منذ بدء الهجمة الاستعمارية الحديثة على ديار العروبة والإسلام، وضحت نوايا وأهداف هذه الموجة من موجات التحدي، وتميزت عن غيرها من الموجات التى ابتليت بها أمتنا عبر تاريخها الطويل.

فهي لا تبغى فقط السيطرة على طرق التجارة الدولية.. ولا تقنع بالنهب الاقتصادى الاستعمارى.. ولا تكتفى بتفتيت وطن أمتنا، لتحول دون وحدتها، فقوتها، فنهوضها.. ولا تقف أطماعها عند تحويل شرقنا العربى والإسلامى إلى «هامش أمن» للغرب الأوربي.

لا تكتفي هذه الهجمة الاستعمارية بكل ذلك.. بل إنها فى سبيل تأبيد جميع ذلك وتأبيده وتكريسه، سعت وتسعى إلى سحق شخصيتنا القومية الخاصة، ومسخ هويتنا الحضارية المتميزة، والحيلولة بين أمتنا وبين استعادة قسمات استقلالها الحضارى المفقود.. ورأت فى تحويلنا إلى «هامش حضارى» للغرب الضمان لبقائنا «هامشا» له فى الأمن والاقتصاد!

ومن هنا، وبسبب هذه الأهداف الاستعمارية تنوعت أسلحة الصراع، وتعددت ميادينه، فشملت ساحات: «الفكر» و«المادة»..

وخاصة: «المفكرون» و«العامة».. واستنفر «العلماء» و«الجند».. واحتاج إلى «القلم» و«السيف» عبر تاريخه الطويل!

ولقد استعان الاستعمار، فى صراعه مع أمتنا على الجبهة الحضارية، بعوامل كثيرة تدخل فى عداد «حيل الخداع والتمويه» النابعة من «غرور المنتصرين واستعلائهم على المهزومين»!

فهو قد جاء إلى بلادنا فعاجل الصحوة التى حاولنا بها الإفلات من ظلام العصر «المملوكي - العثماني» وقيوده، واليقظة من سبات ليله البهيم والطويل.. صحوة النهضة المصرية التى قادها، بمصر والشرق، محمد على باشا الكبير [١١٨٤ - ١٢٦٥هـ = ١٧٧٠ - ١٨٤٩م].. وصحوة الثورة العرابية [١٢٩٨ - ١٢٩٩هـ = ١٨٨١ - ١٨٨٢م] التى طمحت إلى محو آثار الهجمة الاستعمارية على نهضة محمد على بعد سنة ١٨٤٠م!

وكانت حركة الاستشراق، فى مجملها وأغلبيتها، طليعة هذا الزحف الاستعمارى على جبهتنا الحضارية العربية الإسلامية.. وكانت هذه الحركة الاستشراقية أعلم منا، يومئذ، بتراثنا الحضارى، فألحت على عقل أمتنا ووجدانها بالمقولة التى تزعم أننا أمة غير متميزة حضارياً، فتراثنا العربي - كما قالت - فقير فى الخلق والإضافة والإبداع، وعقلنا العربى عاجز عن التفلسف والفكر المركب، وليس لأسلافنا غير فضل النقل والحفظ لتراث اليونان، والمحاكاة لتراث الفرس والهنود!

ولم يكن هدف هذه المقولة الاستشراقية هو فقط تثبيط الهمة وفل العزيمة، وخفض الهامة، وكسر النفوس، وإذلال النفس العربية الإسلامية بل كان الهدف أبعد من ذلك وأكبر وأخطر. كان الهدف استخدام كل ذلك للوصول إلى مقولة ثانية تزعم أن التمايز الحضاري ومن ثم الاستقلال الحضاري هو في الأساس ومن حيث المبدأ مجرد أكذوبة لم تعرفها التراث ولم يشهدها التاريخ، ومن ثم فلا جدوى من جعله هدف نضال الحاضر والمستقبل. فالحضارة واحدة. وهذه الحضارة الواحدة هي الحضارة «الإنسانية» كانت قديما يونانية ثم «نقلها» العرب والمسلمون إلى الأوروبيين الذين أسسوا عليها حضارتهم الحديثة التي هي حضارة العصر «الإنسانية» الوحيدة، فأوروبا هي «المركز» كانت كذلك قديما وأيضا في الحديث.

ومن ثم فما على أبناء الشرق إن أرادوا التحضر إلا السعي إلى اللحاق بهذه الحضارة الأوروبية الغربية بجعل «عقلهم» و«واقعهم» أشباها لعقل «أوروبا» وواقعها وبجعل بلادهم قطعة من أوروبا- كما نسب إلى الخديو إسماعيل [١٢٤٥ - ١٣١٢هـ ١٨٣٠ - ١٨٩٥م] أن قالها.

فالقضية في نظر أصحاب هذه المقولة هي أن التخلف الذي في جانبنا يقابله التقدم في جانبهم، وليس التبعية التي تفرضها علينا سيطرتهم الاستعمارية.

ومن هنا جاء من تبنى «رؤى» و«تصورات» ... «منطلقات» وعمودا حلا في نظرية «التحديث» الذي نحن الآن في عصره

وستظل [illegible] عندهم [illegible] [illegible] في [illegible]
[illegible] في [illegible] واقعه
[illegible] في العصر [illegible]
[illegible] التصور [illegible]
[illegible] على [illegible] الجمود
من [illegible] و الإسلام عن [illegible]

لقد أرادوا لمنهج الإصلاح عن جوهره وسموا هذا الإصلاح تحضراً و تحديثاً لأنهم رأوا [illegible] وحقيقتهم أن هذا الجوهر الذي يميز هذه الأمة هو قوة الطرد المركزية التي ستحرك الأمة في اتجاه الاستقلال الحقيقي و التحرر من سيطرة الاستعمار

ولما كانت حضارة هؤلاء [illegible] هي حضارة [illegible] [illegible] في صفوف الأمة [illegible] ويبيض وجهه ويفتح به في عقل الأمة النوافذ والأبواب والثغرات [illegible] الأرض في [illegible] مكان أن تسود في حركتنا الفكرية ما عرف [illegible] التي تقوم علاقة الحضارة التي الأمة [illegible] و تحرر من [illegible] عصر المماليك والعثمانيين

وقد [illegible] العصور المظلمة المملوكية العثمانية [illegible] لا الانخراط في موكب الساعين إلى أن تكون [illegible] في الحضارة و [illegible] التجديد و يقظة والإحياء، عن غير هذا الطريق [illegible]

ولقد ساعد على ازدهار هذا المصطلح والتصور ما كانت عليه المؤسسات والسلطات التي احتكرت لنفسها حق التحدث عن التراث وباسم [illegible] الصالح عندما كانت هذه المؤسسات مثقلة بالحرف [illegible] وتحصنت [illegible] كانت المؤسسات [illegible] يكن [illegible] الأمة ولا عبقرية الأسلاف العظام [illegible] حكمت عصر جمود هذه الأمة وتخلفها [illegible] الذي لم يكن صالحا.

فكان جمود هذه المؤسسات وسوء [illegible] ويغري بسلوك طريق «التغريب».

لكن أصالة هذه الأمة الحضارية وعوامل [illegible] المستكنة في كيانها الحضاري قد [illegible] هذا [illegible] الذي وضعت فيه [illegible] عندما [illegible] فكان [illegible] الموقف الثالث والتيار الثالث تيار «التجديد الذاتي» الذي يمد جسور التواصل الحضاري مع كل حضارات الأمم الأخرى فيؤثر ويتأثر ويتفاعل ويأخذ ويعطي من موقع الراشد المميز الذي لا يفقده التواصل الحضاري ما له من تميز واستقلال كما لا يدخله هذا التميز والاستقلال في عالم الجمود [illegible] المتجمدين الذين يقتلهم الانغلاق والاستعلاء.

ومنذ نشأة تيار «الإحياء والتجديد» هذا، تصارعت على الساحة الفكرية لأمتنا هذه التيارات الثلاث

١- تيار الجمود:

ذلك الذي استعصم بفكرية العصور الوسطى واعتصم بجدار أضفى على هذه الفكرية التي حددت عصر تخلفنا الحضاري قداسة الدين وقدسيته! ولقد تمثل تيار «الجمود» هذا في المؤسسات التقليدية العريقة، إلا قليلا من أعلامها. تمثل في عدد من شيوخ الأزهر والزيتونة وفي قوم زعموا أنهم «مجتهدون» رغم تخلفهم واستلابهم لأسر تراثية ظلت تفعل فعلها في تقسيم المسلمين إلى «شيعة» و «سنة»! وكذلك تمثل تيار «الجمود» هذا في تجمعات «الطرق الصوفية» التي غرقت في البدع والخرافات والرسوم، وانقطعت صلاتها بالتصوف الحق سواء أكان «عقلانياً» أم «شرعياً» تهذيبياً.

وخلف هذا التيار سارت «العامة» لميلها «الاستمرار» ورفضه «التغيير» وخوفه على «المألوف» وهبوط تصوراته العقدية إلى مستوى تصورات «العامة» و«الجمهور».

٢- تيار التغريب:

ذلك الذي بهر أهله بتألق الحضارة الأوربية وتجاربها وانتصاراتها، خصوصاً عندما قارنوا بينها وبين «النموذج» «الحضاري» الذي يتمسك به تيار «الجمود»، فقد حسبوا لجهلهم بتراثهم الحضاري أن تصور أهل «الجمود» هذا هو حقيقة تراث أمتنا الحضاري، فدفعتهم هذه المقارنة إلى إدارة الظهر للتراث، وتولية الوجه والعقل والقلب إلى الحضارة

الأوروبية، مصدقين زعم الأوروبيين [illegible] حصر [illegible] هي «الإنسانية»، ومن ثم «الوحدة» في العصر [illegible] على من يريد العصر أن يلحق بها، [illegible] [illegible] فيفكر كما يفكر الأوروبيون، [illegible] ويتمثلهم في «المقاصد» و«الأدوات» على السواء.

ولقد تمثل تيار «التغريب» هذا –أساسًا– في الأعلام الذين قلدوا الغرب بعد أن [illegible] حضارته، سواء منهم من [illegible] في عواصمها أو في المؤسسات التعليمية التي [illegible] في بلادنا على نمط مثيلاتها في الغرب فلسفة ومنهاجًا [illegible] هذا التيار فريق من أبناء الأمة [illegible] على الأمم [illegible] التوجيه في «المدرسة» و«الجامعة» [illegible] الصحف والمنتديات وكل أدوات [illegible] ومؤسسات التحديث.

٢- تيار «التجديد»

[illegible] في مصر [illegible] العلاقة بين [illegible] «الجمود» و«التغريب»، فأهل «الجمود» [illegible] الدليل [illegible] على عدم صلاحية [illegible] على النحو الذي [illegible] الأمة [illegible] ما تواجهه من تحديات [illegible] فريق «التغريب» [illegible] إلى [illegible] [illegible] على الأمة هذه [illegible] العربية [illegible] الحضاري [illegible] [illegible] الحضاري [illegible] العربية الإسلامية [illegible]

كي تمثل الروح التي تتوارثه الامة وهي تصنع حاضرها الراهن وتخطو نحو المستقبل المنشود.

ولقد تمثل مسار التحديث هذا في الاعلام الذين استوعبوا تراث الامة ثم لم يحبسوا عقولهم في تفاصيل اشكاله القديمة التي فرضت بالتعصب صفوفها كما لم يدفعهم استيعابهم للتراث الى الغرق في القضايا القديمة التي شغلت الاولين بالجدل، والتي تجاوزها العصر. لانهم رفضوا ان يتخذوا منهم مقاييس لتطور او امكانية اعادة الحاضر او المستقبل كي يصب في قوالب الماضي التي صنعها الاسلاف. ثم انهم لم يغلقوا عقولهم دون التيارات الحضارية الاخرى والحضارات الانسانية التي ازدهرت وتزدهر خلف حدود العروبة والاسلام ودون الموارد الحضارية غير العربية الاسلامية ايضا.

■ الانطلاق من تراث الامة باعتباره طاقة تتفجر في الشعب بالكبرياء المشروعة التي تعينها على مواجهة تحديات المعاصرة وانجاز مشروعها الحضاري الخاص.

■ المحافظة على القسمات والسمات التي تمثل البصمات الثابتة في شخصية هذه الامة وحضارتها، والخاصة من كل منها دينا وضعه الله او روحا حضاريا تميزت به هذه الامة عن غيرها من امم الحضارات العتيقة والعريقة.

■ التفاعل مع الحضارات الاخرى والافادة منها دون تقليد يمسخ شخصيتنا الحضارية، وانما بما يمثل اثراء لذي الموقف المتميز والخاص.

لكن تيار التجديد هذا قد ظل حبيس الصفوة التي تملك زمام «الأصالة والمعاصرة» معاً ووازنت بينهما موازنة عادلة وخلاقة. وساعد على حبسه في هذا الإطار أنه قد حوصر وتلقى الطعن من تياري «التغريب» و«الجمود» كليهما لما مثله من خطر حقيقي على غايتهما ووسائلهما جميعاً.

* * *

على أن تيار «التجديد والتحدي الذاتي» هذا لم يكن نسخة واحدة متحدة في كل بلاد العروبة والعالم الإسلامي منذ تبلورت فيه «الفصائل» وتعددت الحركات وتنوعت الدعوات بسبب ما بين أقاليم عالمنا العربي وأمتنا الإسلامية من تفاوت في مراتب التحضر وتنوع في مستوى التحديات التي تواجه هذه الأقاليم واختلاف في المكونات الفكرية التي تركت بصمات عدة والرواد في هذه الفصائل والحركات والدعوات.

لكن الحديث عن «فصائل» هذا التيار وعن علاقته باستقلال أمتنا الحضاري يستدعي أن نقدم بين يديه مقدمات تمهيدية لا غنى عنها للوعي بكنه هذا التيار، وما يمثله لأمتنا من طوق نجاة مما يواجهها من تحديات.

*** وأولى هذه المقدمات يتضمنها عنوان هذا الكتاب.**

ذلك أننا نؤمن بأن حضارتنا هي «عربية إسلامية» فهي حضارة أمتنا التي هي عربية قومية وهي إسلامية لأن «الإسلام الحضاري» يمثل عبقريتها

أيديولوجيتها المتميزة، فالإسلام الحضاري هو الرسالة الخالدة لأمتنا العربية الواحدة، تستوي في ذلك الشعوب الذين يدينون بـ الإسلام الدين، وأيضا الذين يدينون بـ دين التوحيد ... التي سبقت إلى هذا الدين شرائع ومناهج جرى لرسل آخرين سبقوا محمدا ﷺ على درب علاقة السماء بالإنسان.

ثم إنها عروبة إسلامية لما لأمتنا العربية من دور قائد في نشر الإسلام الدين والقيام على تجديده وفي قيادة الأمم الإسلامية لمواجهة ما تعرضه عليها الأعداء من تحديات منذ كانت مهمتها تاريخيا ولا تزال قسمة بل وقدرا من أقدارها في عصرنا الحديث.

■ وثاني هذه المقدمات يتطلبها العنوان أيضا فهو يعني أنه قد كانت للأمة العربية الإسلامية حضارة متميزة ومستقلة عن حضارات متميزة لأمم أخرى ثم فقدت ... هذا الاستقلال الحضاري، وغابت عن ساحتها وغامت في عقل فريق من أبنائها تلك القسمات الحضارية الخاصة التي تكسب حضارتها ... التميز ... الاستقلال ... ثم جاءت هذه الشعوب وتحركت الإصلاحية والتيارات التجديدية -التي سنتحدث عنها- في العصر الحديث تحاول استعادة هذا الاستقلال الحضاري لأمتنا، بالكشف عن قسمات تمايزها الحضاري، وبلورة هذه القسمات أو تطويرها.

■ أما المقدمة الثالثة، فإنها تجيب عن سؤال نطرحه لنقول: هذه الحضارة المتميزة، ما قسماتها الرئيسية التي تميزها فتجعلها مستقلة أو متميزة عن غيرها من الحضارات، حتى كانت عين هذه الدعوات والحركات المجددة عليها وهي تسعى نحو هذا الاستقلال الحضاري في عصرنا الحديث؟

ونحن إذا شئنا أن نكثف الإجابة عن هذا السؤال أمكننا ذلك إذا نحن قلنا: إن حضارتنا هي حضارة التوحيد.

فلو تخيل المرء أن كل أمة من الأمم العريقة ذات الحضارات المتميزة قد «صاغت» وسكت لحضارتها «عملة» تميزها وصكت ذلك أصبح لكل «عملتها» التي تميز حضارتها مرآة برمز التوحيد على وجهيها: «التوحيد الديني» على أحد وجهي «العملة»، و«التوحيد القومي» على وجهها الآخر، والصلات بينهما والتآلف عن جعلهما وجهين لعملة واحدة ترمز لحضارتنا العربية الإسلامية: حضارة التوحيد.

ففي «التوحيد الديني» فلسفة هذه الأمة تتجلى تصورها للكون، حتى لقد سمي العلم الذي حمل أمانة عبء التفلسف فيها، وهو «علم الكلام» – بعلم «التوحيد»... وفي هذا التصور التوحيدي للكون قد أفصحت عن أهم ما يميز حضارتها من قسمات، ولا وهي «قسمة التوازن والموازنة» بين المتقابلات والمتناقضات واتخاذ الموقف الوسطي العادل الذي يؤلف بين ما نحسبه ضدين في حضارات أخرى غير قابل للتآلف بين ... ومؤاخذة

من هذه المقابلات بنظرة شمولية تتمثل بموقف للشرق الوسطي بمعنى العادل والرافض لكلا الموقفين المتطرفين السابقين لأن كلا منهما قد جاء نتيجة لنظرة توحيدية الجانب لتجربته القاصرة التي لم تبصر سوى قطب واحد من أقطاب علاقة شد الكون.

فالنظرة التوحيدية للكون هي التي ورثت واحدة وحدة بين التوحيد الديني الذي يعني وجود الله الأول ويسند كل ذوي في هذا الكون لله سبحانه وتعالى وبين ما هي مخلوقاته وبضمنه من خصائص مادية تحقق مع علة الأثر والمسبب للأسباب.

وهي التي ورثت من التوحيد الديني الذي يقطع بأن الله هو خالق الكون ومن تصور هذا العالم لديه وهو ما يقول فلاسفة الإسلام وعلماء متكلميه فعل الإسلام قديم كلم تشهد حضارة الإسلام التي جمع الفلاسفة فيها العالم ما بين وأنه ليس للخلق الإلهي مقابلين كما حدث في تاريخ الفلسفي للحضارة الأوربية وفي مرحلة فلسفية حديثة من لقد طورت حضارتنا ما يمكن أن يسمى بالنظرة التوحيدية وكان فلاسفتها وعلماء متكلميها مؤمنين بالله الخالق للطبيعة [الخلقة] وفي ذات الوقت يؤمنون للطبيعة وقوانينها بما لها من فعل وتأثير.

وهذا التوحيد الديني هو الذي صنع حضارتنا استمراريته وتوازن بين الإنسان وبين الكون المخلوق

[illegible] العربية [illegible]

بين «الفرد» وبين [illegible] والمجتمع، وبين [illegible]

«الدولة»، [illegible] هذه الحضارة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

والتجربة [illegible] في [illegible]

هذه [illegible]

[illegible] الوحدة [illegible]

عن حضارات الأخرى.

[illegible]

[illegible] حضارات الأعراق في [illegible]

[illegible] الأخرى [illegible]

[illegible]

ولقد [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وما [illegible]

[illegible]

١ [illegible]

كما يقول شاعر الإسلام حسان بن ثابت [٥٤هـ ـ ٦٧٤م]

وهذه الحقيقة هي التي يعبر عنها الإمام الغزالي [٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ / ١٠٥٨ ـ ١١١١م] عندما يقول:

«إن نظام الدين لا يحصل إلا بنظام الدنيا، فنظام الدين بالمعرفة والعبادة لا يتوصل إليهما إلا بصحة البدن وبقاء الحياة وسلامة قدر الحاجات من الكسوة والمسكن والأقوات والأمن، فلا ينتظم الدين إلا بتحقيق الأمن على هذه المهمات الضرورية، وإلا فمن كان جميع أوقاته مستغرقا بحراسة نفسه من سيوف الظلمة وطلب قوته من وجوه الغلبة متى يتفرغ للعلم والعمل، وهما وسيلتاه إلى سعادة الآخرة؟ فإذن، إن نظام الدنيا، أعني مقادير الحاجة، شرط لنظام الدين»[١].

وهذا «التوحيد الديني» هو الذي وازن بين العقل وبين النقل والوحي». فلم نشهد في حضارتنا الانحياز لأحدهما ضد الآخر على الأقل عند جمهور تيارات الفكرية ـ التي شهدتها ـ كيف كان العقل هو السبيل لإدراك الألوهية والنبوة، وكيف كان مع الكتاب والسنة سبيل الاستدلال في الدين، الأمر الذي جعل الفلسفة الدينية على حين قد تفلسف الدين!

وهذا التوحيد الديني هو الذي وازن بين الثوابت الدينية التي كمل بها من العقائد الدينية والعبادات، والتي مثلت في شئون الدنيا أطر وغايات ومقاصد ومبادئ وكليات وفلسفات، ووازن بين هذه الثوابت الدينية وبين المتغيرات الدنيوية التي جعل بها العقل

[١] الاقتصاد في الاعتقاد ص ١٣٥ طبعة القاهرة [illegible]

الإنسانية يدع فيها حكماً وتحريماً وفق مصلحة وفي ضوء ثوابت الدين وأصوله وكلياته، خضوعاً لمقاصد الشريعة في شكل مصلحة الأمة جمعاء وسداً لحاجتها[1].

وهذا التوحيد الديني هو الذي عمقت الشريعة مبادئه سواء فيما ضبطه «الكتاب» من وضعه للميزان الذي هو القسط والعدل والشريعة العادلة عندما توضع في الممارسة والتطبيق [illegible] الإنسان [illegible] تجمع [illegible] بالمعروف [illegible] الذي [illegible] بالحق وتسير [illegible] الأوفق [illegible] من الكتاب [illegible] الأحكام [illegible][2].

هكذا وعلى هذا النحو كان أثر «التوحيد الديني» كمنهج لفلسفة الإنسان المسلم، وكوسيلة للأمة وجامعة تربط بين الكون، وتتصور على هديه الوجود الإنساني والاجتماعي والسياسي.

وهكذا كان هذا التوجه من زوايا عملية حضارية عربية إسلامية.

* * *

أما الوجه الآخر للوحدة العربية الحضارية فهو التوحيد القومي

ذلك أن وحدة العرب في [illegible] كانت تعني [illegible] تعدد

الآلهة في القبائل [illegible] كانت تعني وتجسد غياب وحدة الهوية [illegible]

[illegible] القبلية [illegible] التوحيد الديني [illegible] هو [illegible]

(١) المصدر [illegible]
(٢) المصدر [illegible]

الدين ... لتسهم في وحدة هذه الهوية في ... شريعة ودولة.

ومن هنا كانت العروة الوثقى بين «التوحيد الديني» و«التوحيد القومي» وكان كل من أحدهما من الآخر هو بمثابة وجه العملة الأول من وجهها الثاني ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾(1) ﴿وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾(2) فأثر هذا «التوحيد الديني» في «التوحيد القومي» هو - كما يقول القرآن الكريم - آية من آيات الله ومعجزة من معجزات الإسلام.

ولقد سارت الجماعة العربية على هذا الدرب، فتوحدت القبائل في كل قومي واحد، أصبحت الدولة العربية الإسلامية صورة وأداة ومنبع من ارتباط التوحيد القومي بـ«التوحيد الديني» [illegible] الحد الذي تعرضت فيه وحدة الدولة للمدينة [illegible] فريضة الزكاة [illegible] خلافة أبي بكر الصديق [51 ق هـ - 13هـ = 573-634م] ممن ارتدوا عن وحدة الدولة القومية، رغم تمسكهم بأصول الدين، كان «وحدة الدولة القومية» عندئذ حقا من حقوق شهادة «التوحيد الديني» لا إله إلا الله.

(1) آل عمران: 103.
(2) الأنفال: 63.

وبعد عصر الفتوحات كان «الاستعراب» القومى لسانا [لغة] وثقافة وحضارة، السبيل لاتساع دائرة «الأمة» القومية فامتزجت القبائل والشعوب، واختص «الإسلام الموروث الحضارية» لهذه الشعوب فكانت الأمة الواحدة والحضارة الواحدة الجديدة. تبلورت الأمة بالاستعراب، وتبلورت الحضارة فى عصر التدوين

ولقد تميزت هذه العملية التوحيدية القومية بما تميزت به حضارتنا من «الموازنة والتوازن» بين المتقابلات والمتناقضات فاتخذت الموقف «الوسطى والعدل» موقف «الشاهد» على المواريث الحضارية القديمة الذى يحكم فى الحكم على صلاحيتها كى تدخل فى نسيج الحضارة المستقبلة ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس﴾(1) كذلك اتخذت هذه العملية التوحيدية القومية هذا الموقف «الوسطى العادل» عندما وازنت بين «المواريث الحضارية غير العربية» وبين «كسبات الإسلام» المتخلفة، لتستبقى ما تبلورت منهما فى «الإسلام الحضارى» وعندما وازنت بين «عصائل» مختلف الجماعات والشعوب والأمم التى أدخلها الفتح فى إطار الدولة الجديدة فصنعت من كل هذه العصائل قسمة فى الحضارة الشابة تتميز بها الأمة الوليدة، رافضة عصبية التطرف والتعصب عصبية العرب الجاهلية العرقية وتعصب الشعوبية ضد كل ما هو عربى. وهى، أيضا قد وازنت بين مركزية ... وبه اختلافه

(1) البقرة ١٤٣

وبين «الفكر» و«الذات» وبين المحسوسات، والآن يتم فك
الاشتباك بين المعقول والمحسوس في أثناء الحضارتين القديمة والحديثة

ولقد كان المنهج الذي صنعته الأمة وأبدعه عقلها طريقًا
لصنع إنجازها الحضاري المتميز هذا كان منهجًا هو كذلك
فهذه نفسه المتميزة بها لا نجد عهدًا لأمة قد قنعت بوقف
عقلها على محصلة الحضارات ونظرت بحسرة وبحسرتها في
مواريث اليونان والفرس والهنود ثم أخذت ونظرت في موقع
الراشد في الموقف المتميز علم بحوثها تلك التي يونانية وفرس
أو هنود، وإنما من محور إنجازي عربي إسلامي متميزًا
وكما تميزت الثمرة، فلقد تميزت الأداة المنهج عندما لم
يقف عند التجريد الفلسفي والفكري، فقد كما كان حال الفلاسفة
عند اليونان وعند من لم يفهم النظر الفلسفي والفكري مكتفيًا
بالتجريب الذي يفارقه وبتجريبه موجدات تخص المحسوسات
وربما وراء بينهما. فكان أن تطور المنهج الاستقرائي القائم
على الملاحظة والتجريب والاستخلاص الفكري ثم العودة إلى
التجريب، فالفكر أسطوري وهكذا وفي هذه الموازنة المنهجية بين
المادة والفكر لم يعد العالم المادي ظلاً للعالم كما
كان الحال في الحضارة اليونانية وفي نظرية المثل عند
أفلاطون [٤٢١ - ٣٤٧ق م] كما لم يصبح «الفكر» مجرد
انعكاس للمادة كما هو الحال في «المادية الجدلية» التي صعد
عليها نهج أوروبا في العصر الحديث، وإنما كانت العلاقة الجدلية
بين «الفكر» و«المادة» على النحو الذي نسير به فمسوغ

الإسلام جمال الدين الأفغاني [١٢٥٤ - ١٣١٤هـ = ١٨٣٨ - ١٨٩٧م] عندما يقول إن كل شهوة يحدث «فكرا» وكل «فكر» يكون له أثر في دعوة تدعو إليها وعن كل دعوة ينشأ عمل، ثم يعود من «العمل» إلى «الفكر» دور يتسلسل ولا ينقطع الانفعال بين «الأعمال» و«الأفكار» ما دامت الأرواح في الأجساد، وكل قبيل هو للآخر عماد، آخر «الفكر» أول «العمل»، وأول «العمل» آخر الفكر.

هكذا تميزت حضارتنا عندما أصبح التوحيد هو روحها المهيمن، أي في النظر إلى الكون وتصوره «التوحيد الديني» وإن في صياغة المجتمع والدولة وتصور الإنسان لهما وعلاقتهما بهذا الإنسان، وإن في الأداة المنهجية التي استعان به الإنسان العربي على ثورة هذا الإنجاز. فالتوحيد يعني «التوازن» كما أن «الثورية» و«التكييف» و«التوفيق» و«الوسطية» تعني في جوهرها الانحياز إلى التوحيد.

● ولكن هذه المقدمات التمهيدية وحتميتها تدعونا للتساؤل:

متى فقدت حضارتنا هذه استقلالها؟ وبم؟

أما لماذا؟ فلأنها قد فقدت خاصيتها، أي منهجها الوسطي المتوازن، أي صيغة توحيدها بالتمزق والانقسام.

وأما متى؟ وكيف حدث ذلك؟ فالرأي عندي أن [illegible]

(١) الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني ج١ ص ٤١ دراسة وتحقيق د. محمد عمارة طبعة بيروت سنة ١٩٦٨م.

[illegible]

[illegible]

لقد كان عمر بن الخطاب [٤٠ ق هـ - ٢٣هـ / ٥٨٤ - ٦٤٤م] رضي الله عنه [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

لكن عثمان بن عفان [٤٧ ق هـ - ٣٥هـ / ٥٧٧ - ٦٥٦م] رضي الله عنه لم يحبسهم [illegible]

ففي عهده خرجوا [illegible]

[illegible]

[illegible]

على كل، العصر العباسي كان أرق منه في ... بالعنصر العربي عن حدة الحضرمة وخشونتهم ... قسمة تتوازن بين القوة وبين العقل ... من العنصر العربي ليميل إلى العلويين من آل البيت وينصرهم لثوراتهم التي كان مقرها ... وكانت الشعوبية المدفوعة بالثأر ضد الدولة العربية واستخدامها للمواريث المجوسية ضد الإسلام تسعى لتقويض ... الدولة و... «الدين». عما كان من الخليفة العباسي المعتصم [١٧٩ - ٢٢٧هـ = ٧٩٥ - ٨٤١م] إلا أن خطا الخطوة القاتلة عندما ... جندها وقوتها الضاربة من الترك ... الأمة بحكم العنصر والنسب والتكوين ... لا يشكو ولا بعقلانية حضارتها، بحكم كونهم عسكرا فضلا عن كونهم مماليك. عندما أصبحت هذه المؤسسة العسكرية غريبة عن ... الحضاري للأمة تحول ... كفة «القوة» على كفة «العقل» ... المتوكل العباسي [٢٠٦ - ٢٤٧هـ = ٨٢١ - ٨٦١م] ... العقلاني الذي ... «ظواهر ... العسكر ... النسبية ... برجحان علوم الآخرة على علوم الدنيا.

على ... العسكر ... على مقر الخلافة ...

فتصدت لذلك الخطر الصليبي الزاحف من أوربا، ثم جمدت قسمة العروبة في حضارتنا وظهر ذلك التناقض الذي زعموه بين الإسلام والعروبة كمحاولة لإقرار الرباط النسبي الذي يجمع حاكمين محكومين وبغير رباط القومي الذي يستنفر المحكومين كي ينهضوا فيستخدموا عن كاهلهم نير السلطان الغريب عن قوميتهم. فقدت حضارتنا وجهها المميز بها وغابت قسمة الثوارث وتوارت التي طبعت هذا الروح فكان أن دخلت مرحلة التراجع والجمود تلك المرحلة التي تدعمت بالسيطرة العثمانية على أغلب أقاليم العالم العربي واستمرت حتى ظهور حركة التجديد والنهضة في عصرنا الحديث والتي كان عليها كي تستعيد لحضارتنا استقلالها، أن تبعث وتطور القسمات التي ميزت هذه الحضارة وصنعت لها هذا الاستقلال وعلى وجه التحديد قسمات

أ- السلفية الدينية

تنفض بها عن العقائد الدينية ركام البدع والخرافات والتراكمات والإضافات التي تراكمت عليها في عصر الجمود المظلم وتعيد بها إلى الدين جوهره الأهم وروحه الأعظم وهو «التوحيد الديني» في العقائد والعبادات. ومن ثم تعيد إليه طاقة الفعل والخلق والإبداع على الجبهة الحضارية

انظر في تفصيل [illegible] كتابنا: الإسلام والعروبة والعلمانية، طبعة بيروت سنة ١٩٨١م

ب- الاستنارة والتمدن:

في شئون الحضارة وأمور الدنيا ونظم التمدن والعمران، حتى تستطيع الأمة فتح نوافذ عقلها على الحضارات الأخرى وتجارب الأمم التي تقدمت، وتنضج عقلها فتتمكن من التمييز بين تراثها الخلاق المحرك لجوانب الإبداع [illegible] عن لإمكانياتها الخلاقة، وبين تراث عصر الركود والجمود، الأمر الذي يعينها على الموازنة بين «ماضيها» وبين «العصر» الذي تعيشه و«المستقبل» الذي تفكر فيه.

ج- عروبة السلطة

في المجتمع، حكومة، وولاة، وجيشا، وتعليما، وثقافة وتشريعا، حتى تضمن مسيرة [illegible] و[illegible] الأمة [illegible] «التوحيد» هو مزاج التميز لحضارتها في عصر الازدهار.

وبقدر نجاح حركات التجديد والنهضة ودعوات الإصلاح في تمثل أدوات التجديد هذه واستخدامها بكفاءة واقتدار كان نجاحها في التعبير عن طموح الأمة لتجاوز عصر توقفها الحضاري، والدخول بمشروعها الحضاري المستقل عصر النهضة والإحياء.

دعوات التجديد السلفية واستقلالنا الحضارى

بدأت يقظة أمتنا في عصرها الحديث بظهور حركات السلفية التي رمت تجديد الدين وصبغ المجتمع بصبغة هذا الدين بعد تجديده. وكان «الدين» حركات التجديد هذه – أي اتخاذها الدين سبيلا للبعث القومي والحضاري – التعبير التلقائي عن مكانة الإسلام ودوره في أي مشروع لانهاض هذه الأمة وتجديد حياتها.

ومنذ البدء كان واضحا أن هذه الدعوات والحركات التجديدية السلفية تواجه خطرين رئيسيين وعدوين أساسيين:

أولهما:

«التخلف» الذي صنعته وكرسته فكرية العصور الوسطى المظلمة، فكرية عصور تسلط المماليك وسلطان العثمانيين. «التخلف» عن جوهر الإسلام وحركته الحيوية وطاقته المبدعة – عقيدة كان هذا الإسلام أو شريعة – فلقد حولت تلك العصور فكر الإسلام نحو نسق فكري مثقلا بالشعوذة والخرافة والسلبية والتواكل، بعد أن أضفت على هذا النسق قداسة الدين

وتشجيعها

يتقدم [illegible] تستحث به [illegible] الاستعمار في هجمته الحديثة على ديار العروبة وعالم الإسلام [illegible] بتهديد اقتصاديات الأمة واحتلال أرضها وطمس شخصيتها القومية وإزالة [illegible] الحضارية كي تصبح هامشاً [illegible] في الاقتصاد أو الأمن أو العلم والثقافة [illegible] الحضارة بوجه عام

ومن بين الدعوات والحركات السلفية الدينية التي استيقظت الأمة على وقع صحوتها كانت الوهابية [illegible] والسنوسية والمهدية [illegible] هذه الدعوات والحركات [illegible] وهي وإن جمعتها غايات التجديد والإصلاح على أسس [illegible] السلفية الإسلامية [illegible] [illegible] تكشف عن [illegible] [illegible] ظروف الواقع [illegible] والتكوين على القدرة [illegible] [illegible] الحديثة التي وجهت هذه الدعوات والحركات في البيئات المتميزة التي نشأت فيها

١- الوهابيـــة

في [illegible] الدولة السعودية في نجد نشأت [illegible] شبه الجزيرة العربية
ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب [١١١٥ - ١٢٠٦هـ ١٧٠٣ - ١٧٩٢م]

وكانت بساطة البادية وفطريتها على موطنه نجد [illegible] عن غيره، وكان [illegible] عبد الوهاب [illegible] عنهم [illegible] الناس كما [illegible] على [illegible] مكة والمدينة وغيرهما [illegible] نزوعه المبكر إلى المنهج السلفي اعتراضًا وثورة على ما لحق بالإسلام وعباداته من بدع وخرافات وإضافات.

لقد نظر ابن عبد الوهاب.. فوجد عامة الناس يتخذون من الوسطاء والوسائط شفعاء إلى الله يتوسلون إليهم ويقصدونهم ويدعونهم ويستعينون بهم في الملمات، كما وجد البدع قد أصابت العقائد بالفساد والنقص، فلما عرض صورة الإسلام القائمة هذه على حقيقة الإسلام السلفي، وجد أن الإسلام الأول إسلام السلف قد أصبح غريبًا، فكان أن وجد نفسه في ذات الموقف الذي وقفه إمام السلفيين القدماء الإمام أحمد بن حنبل [١٦٤ - ٢٤١هـ ٧٨٠ - ٨٥٥م] عندما دعا إلى العودة لإسلام السلف

لحرية الإسلام ما قبل عصر الفتوحات [illegible] تكفي
لأسباب [illegible] النصوص دونما حاجة إلى العقلانية الكلامية
والفلسفية [illegible]

وكانت [illegible] نجد البسيطة [illegible] ملاءمة للإسلام [illegible]
البسيط بظواهر النصوص تكفي للإجابة عن علامات استفهام
البسيطة التي تكفي لتصحيح معتقدات [illegible] وتصوراتهم
وإعادة عاداتها إلى صورة الإسلام الصحيحة والبسيطة

كان ابن عبد الوهاب يدعو إلى الإسلام السلف ويسير بفكر بن
حنبل، وابن تيمية [٦٦١ - ٧٢٨هـ = ١٢٦٣ - ١٣٢٨م] وابن قيم
الجوزية [٦٩١ - ٧٥١هـ = ١٢٩٢-١٣٥٠م] ويركز على إصلاح
العقائد وتقويم التصورات وتصحيح العبادات، فحكم
بشرك [illegible] والتحلي على المتوسلين إلى الله بالأولياء
والصالحين والمشاهد والمزارات والرموز، بل رأى أن شركهم هو
هو أعظم من شرك الجاهلية الأولى[٣] وظل - كما صنع أعلام
السلفية الأولى - يحتكم لظاهر النصوص فيجمد عندها
حتى لو كانت [illegible] ويعرض عن التأويل في فهم النصوص
وتفسيرها، وعن الرأي الذي لا ورود له بجانب النصوص

١ [illegible]
٢ [illegible]
٣ [illegible] ٨٧
٤ عبد الكريم العصيمي: الدعوة الوهابية، ص ٤٢ [illegible] ١٩٩٠م

وكان طبيعياً أن يصطدم هذه الدعوة السلفية بفكر العصور الوسطى السائد آنذاك [illegible] عنه

ولم يقف موقف المتصالح عند الحدود الفكرية فلقد كان ابن عبد الوهاب أكثر من شيخ واعظ من فقيه وأكثر من داعية ومن ثم فإنه لم يشأ أن يقف بدعوته عند رسائل يؤلفها أو مواعظ يلقيها أو مذهب فقهي ينشره أو حتى حلقة من الأتباع والمريدين لقد أراد أن تكون لدعوته دولة تحتضنها تضمن لها التطبيق والانتشار والاستمرار فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن وقد زاد هذا الفرد وضوحاً في الاصطدام للتصادم ومن حكمه مع حلفاء آل عثمان

[illegible] من عند ابن عبد الوهاب بحريملاء التي بدأ فيها دعوته [illegible] العيينة فعرض مذهبه على رئيسها عثمان بن أحمد بن معمر الذي استجاب لدعوته فعقد معه عهداً أن ينصر [illegible] الله] ويشرع [illegible] لاقتلاع [illegible] [illegible] الله [illegible] [illegible] ومن [illegible] مقدمة ابن عبد الوهاب [illegible] واقتلاع الأشجار [illegible] التي [illegible] تقربهم بزعمهم إلى الله زلفى [illegible] الخطاب [١٢هـ ٦٣٣م] [illegible] ابن عبد الوهاب [illegible] أمير [illegible] عن الإمداد [illegible]

١ [illegible]

فخشي [illegible] علماؤهم [illegible] أن [illegible]

[illegible] على [illegible] إلى الدرعية سنة [١١٥٨هـ - ١٧٤٥م]

وفي [illegible] عبد العزيز [illegible] محمد بن سعود [١١٧٩هـ - ١٧٦٥م] [illegible] الدعوة السلفية [illegible] نجد [illegible] دعوته على حجاج بيت الله الحرام [illegible] في [illegible] الحكم [illegible] على [illegible] المسلمين [illegible]

ولكن [illegible] في [illegible] سعود [illegible] العراق [illegible] الهجرة [illegible] سنة [١٢١٦هـ - ١٨٠١م] ودخلوا [illegible] المنورة سنة [١٢٢٠هـ - ١٨٠٥م] [illegible] في [illegible] السلفية [illegible] سعود [illegible] الدولة العثمانية وهكذا أصبحت [illegible] الدعوة والسلطة [illegible] على الحرمين [illegible] الحجاز [illegible] العثمانية [illegible] السعودية [illegible]

لكن العثمانيين [illegible] في مواجهة [illegible] محمد علي [illegible] المصري الذي [illegible] الوهابية [illegible] عليها [illegible] الدرعية في [٧ ذي القعدة

سنة ١٢٣٣هـ - ٨ سبتمبر سنة ١٨١٨م] بعد سنة ... من القتال، وبعد ثلاث أو أربع سنوات على ظهور ... عود بن عبد الوهاب ونجحت ... ثلاثة عقود تسعى الأسرة السعودية حتى تيسر لها ... في المغرب ... على يد الملك عبد العزيز بن سعود [١٢٩٣ - ١٣٧٣هـ / ١٨٧٦ - ١٩٥٣م]

■ كانت الوهابية على جبهة التجديد والتحرير الإسلامية حركة تجديد سلفية نشأت في بيئة عربية بسيطة لم تعرف الفكر المركب المتنوع من مكتسبات الحضارات والتيارات الفكرية المركبة، فكانت صورة الإسلام فيها هي صورة الإسلام العربي الأول في عصر صدر الإسلام، ومن هنا كانت ثورة تجديدية ضد صورة الإسلام العثماني المتخلف الذي أثقلته البدع والخرافات طوال العصر الذي فقدت فيه حضارتنا معالم التميز والإبداع وقسمات الاستقلال، وكان التوحيد الإسلامي الخالص كما بشرت به الوهابية، إسهامًا في إعادة روح التميز والاستقلال للهوية الحضارية لأمتنا على جبهة العقائد واستقلال الشخصية.

■ والوهابية، كامتداد للفكر السلفي الرافض لتيارات الفلسفة اليونانية في حضارتنا، قد تبنت إبداع أعلام السلفية، وخاصة ابن تيمية ... في صياغة منطق إسلامي متميز بديلاً عن منطق أرسطو الذي تبناه عدد من فلاسفة المسلمين أو تأثروا به. فكانت هذه القسمة من قسمات ... الحضارية كانت السلفية عند ابن تيمية تتويجًا لجهود عربية إسلامية

الاستقلالية التي وضع قواعدها بإبداع الإمام الشافعي محمد بن إدريس [١٥٠ - ٢٠٤هـ = ٧٦٧ - ٨٢٠م] في أصول الفقه التي قدمها في مقابل منطق أرسطو الذي رفضه الشافعي لارتباطه باللغة اليونانية، يستحيل أن يكون منطقاً لأهل اللغة العربية. وتمثل هذه الجهود بإبداع المتكلمين المسلمين من المعتزلة وغيرهم للأصول الخمس لعلم الكلام التي رفضوا فيه منطق أرسطو لارتباطه بالعقيدة والفلسفة الوثنية اليونانية التي لم تعرف الوحي ولم تعترف به، والمخالفة لإلهيات المسلمين والإسلام.

ولقد توج ابن تيمية هذه الجهود التي تعبر على درب التميز والاستقلال الحضاري بنقده لمنطق أرسطو الذي رآه معيقاً للعقلية الإسلامية بقوانين صناعية متكلفة، وجعلها تقف عند الكلية الثابتة دون الوفاء بالحاجة الإسلامية المتغيرة، وجعله علماً لا ضرورة له حيث لم يشتغل به الصحابة ولا الأئمة، ووضع بدلاً منه منطقه الموضوعي كما يقول، إلى كل من جاء بعده توجت هذه الجهود بتبلور منطق الحضارة العربية الإسلامية الاستقرائي القائم على الملاحظة والتجريب في مقابل منطق أرسطو القائم على المنهج القياسي والنابع من روح الحضارة اليونانية التي لم تحفل بالتجربة بقدر ما ركنت إلى النظر الفكري والفلسفي.

وعلى هذه الجبهة الفكرية كانت الوقفة كاشفة لفكر

(١) د. علي سامي النشار [مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي] ص ١٨٧، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٦٣، [illegible] ٣٠٨ [illegible] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧م

السلفي يسهم في الاستقلال الحضاري لأمتنا العربية الإسلامية ولن تكون بداوة بيئتها، ومهر الفكر الفلسفي عند أعلامها قد [illegible] إسهامها على هذه الجبهة متمثلا في [illegible] تبعيته الفكرية، مع العجز عن الإبداع في [illegible] وتطويره.

■ وعلى جبهة العروبة، كانت الوهابية إسهاما في [illegible] المبدئي كي يستعيد [illegible] هذه [illegible] من [illegible] استقلاله الحضاري. فهي «كدعوة» و«كدولة»، قد مثلت طليعة التحديات العربية للسلطنة العثمانية المتسلطة على أغلب أقاليم الوطن العربي. ثم هي، في المجال الفكري قد [illegible] [illegible] الشرعية والمشروعية عن ولاية العثمانيين على العرب [illegible] تيمية وابن [illegible] موقف [illegible] فقهاء الإسلام، ويسهم فقهاء السلفية [illegible] لضرورة توافر شرط العروبة [illegible] فيمن يتولى منصب الخليفة والإمام.

لقد مثلت الوهابية [illegible] الموقف الفكري و[illegible] في نقطتنا الحديثة بعد قومنا لم تصل بها إلى حد جعلها حركة قومية عربية بالمعنى المتعارف عليه في الأدب السياسي الحديث، لكنه مثل سهما بارزا على درب العروبة الساعية كي تنفض عن كاهلها سلطة الترك العثمانيين.

■ [illegible] الوهابية [illegible] موقف [illegible] من «العقلانية» ومن [illegible] فظواهر النصوص كانت كافية للإجابة على ما تثيره [illegible] الدعوة [illegible] من مشكلات وما تطرحه من علامات استفهام ومواريثها السلفية، التي

[illegible] الفلسفة [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible] العربي [illegible] إلى [illegible] الإسلام [illegible]

التي فتحها العرب في حدار آل عثمان

ولقد دمغ الوهابية على هذا [illegible]

خلطها الشديد بين ما هو [illegible]

[illegible]

[illegible] الفلسفة [illegible] كما دعت إلى [illegible] الفلسفة [illegible]

وعجزت عن [illegible] التجديد [illegible] [illegible] الابتداع [illegible]

المقاصد الدينية و[illegible] [illegible] [illegible] الأمس على

الرسول عليه الصلاة والسلام وقد [illegible] الوهابية أن «الاتباع

[illegible] لا [illegible]» [illegible] [illegible] إلى الجمود

وقد [illegible] الإمام محمد عبده [١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ = ١٨٤٩ -

١٩٠٥م] عن [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] في [illegible] [illegible]

على طريقة السلف [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] الإمام محمد عبده [illegible]

[illegible] الوهابية على [illegible] العقلانية [illegible]

[illegible] عطل [illegible] وأخرج [illegible] من [illegible]

كثيرا من البدع [illegible] عن [illegible] [illegible]

منه لأنهم يرون وجوب الأخذ مما يفيد من نقص ثوري ونقض به دون التفات الى ما تقتضيه الأصول التي قام عليها تدبر وليس كافيا التعود ولاحقا منحت النبوة فهم يكونوا تعلم ولذا ولا للمدنية حياة

* * *

في هذه المراقي، وعند هذه الحدود، وقفت بوقفتها على جبهة نصاب اسبابا لاستعادة استقلالها الحضاري، وسيادتها في عصرها الحديث

لقد استطاعت الفلسفة الرشدية ... والمعروفة ... لكنها تخلفت عن مستويين معوقين لبناء الحضارة على جبهة «الفكر» عندما استندت على هذه الجبهة ... سلفية لدين «مستقبله» ابدا ومدنيتها ... فوقفت صلاحيات فلسفتها في الفكر عند حدود العقلية التي ... وعجزت عن ... حاجات ... العربية الإسلامية المتحضرة ذات الفكر المركب والتطور الحضاري المتفرد

٢ - السنوسية

تعتبر نشأة تيار السنوسية بمحمد بن علي السنوسي [١٢٠٢ - ١٢٧٦هـ = ١٧٨٧ - ١٨٥٩م] عن تلاميذ محمد بن عبد الوهاب فقد ولد السنوسي بقرية "الواسطة" بالقرب من "مستغانم" بمقاطعة "وهران" بالجزائر في بيئة عربية لا تغلب عليها البداوة.

وكانت طموحاته في العلم والفروسية متجاوزة منذ النشأة المبكرة عمدة الصف كان يقسم يومه إلى قسمين: أحدهما لطلب العلم والآخر للفروسية والتدرب على فنونها. وهو قد درس في القرويين بمدينة فاس المغربية، والأزهر بالقاهرة، وانخرط في عدد من طرق المتصوفة، وتلقى العلم على عدد من شيوخ مكة والمدينة.

وكان السنوسي مالكي المذهب في الفقه، ولكنه تبنى الإمام مالك بن أنس [٩٣ - ١٧٩هـ = ٧١٢ - ٧٩٥م] ونهج "معقلانية" ما بين أحمد بن حنبل والمنهج العقلي من [illegible] وفي سنة [illegible] عارفة من [illegible] العقيدة والتقشف كوّن السنوسي طريقته، وشرع بث الدعوة وتنظيم الدعاة

■ وقد كانت سلفية السنوسية متميزة لذلك عن سلفية الوهابية فهي تشترك في الدعوة إلى فتح باب الاجتهاد لتجديد الدين وفي رفض فكرية السلطة المذهبية لما أثقل إسلامها من خرافات وزوائد وبدع لكن الطريقة السنوسية قد مزجت «الشريعة» بشيء من «التصوف» وخطت الطرفين بالإشراق، فهي «بالشريعة والبرهان» تجدد الدين عندما تعود إلى منابعه كي تفهم عقائده وشعائره وشرائعه. وهي «بالتصوف» تستعين على تربية النفس وتقويم السلوك وصقل الملكات وسمو الوجدان، فصقلت بذلك تزوج في غير جحود إلى «الشريعة والبرهان»!

ولقد انتشرت السنوسية على هذا الدرب انتشارا عظيما فهي قد صححت عقائد الذين انحرفوا فيها من الأتباع والمريدين وكثير منهم وخاصة في الصحراء المغربية كانت شوائب عقائدهم الإسلامية، بل سيطرت عليهم عناصر وثنية وجاهلية عديدة، وهي قد نشرت الإسلام بين أقوام إفريقية كثيرين كانوا وثنيين فقطعت الطريق على التنصير الاستعماري الذي كان يمهد بالمسيحية الأرض للنهب والاحتلال والاحتواء. ولقد كان لها الفضل في صنع «الحزام الإسلامي» الممتد في وسط إفريقيا من شرقها إلى غربها وإقامة سلطنات وإمارات إسلامية عدة حاربت الاستعمار الغربي وعاقت سيطرته سنوات، وصعدت ذلك الصف عندما تصدت للاستعماريين الإيطالي والإنجليزي على الجبهة الشمالية وعندما قاومت السيطرة الفرنسية على بلاد الشمال الإفريقي

ولكن هذا تجديدا هاما وإسهاما بارزا استطاعت السنوسية في صنعه بسلفيتها المجددة تلك على واجهة بين حرية عصر الجمود وخطر الغد الاستعماري على هوية الأمة واستقلالها الحضاري

■ وعلى جبهة «العروبة» - عروبة «الدولة» و«الفكر والحضارة» - أسهمت السنوسية إسهاما بارزا وملحوظا. فهي قد شاركت الحركة الوهابية مع نشرها الإسلام في أصقاع جديدة وهي قد رفضت الاعتراف بشرعية التسلط العثماني على حكم الأمة العربية، عندما تبنت وأقرت موقف فقهاء الإسلام من ضرورة عروبة الخلافة وقرشيتها. ومن كتاب السنوسي [الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية] يدافع عن هذا الشرط من شروط الخليفة ويستشهد برأي أبي الحسن الماوردي [٣٦٤ - ٤٥٠هـ = ٩٧٤ - ١٠٥٨م] ويرفض رأي الذين يشترطونها في غير العرب من المسلمين

ثم إن السنوسية السياسية قد اتخذت من الدولة العثمانية موقفا يتراوح ما بين الصمت الحذر والمراوغة والعداء فهي قد رفعت ضد الاستعمار الغربي على تخريب وتلك الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي خاصة في الجزائر حتى لقد كتب وزير خارجية الفرنسي هانوتو G Hanotaux [١٨٥٣ - ١٩٤٤م] وهو يتحدث عن السنوسية الإسلامية تعبير عن الرغبة من الكفاح ضد الأوربيين وكراهيتهم للمدنية الأوربية

وصرح بأن موقفهم عبر الموالي من الدولة العثمانية وسقطتهم لها ... ومن أوربا من

علاقات ... وعبر عن مخاوفه من ضعف قبضتهم بالسيطرة الأوروبية المستحيلة الاستعمارية فقال: إن جراثيم الخطر لا تزال موجودة في ثنايا الفتوح وفي أفكار المقهورين الذين أخضعهم المكان التي حاق بهم ولكن لم تنشط بعد ... ثم يستمر هانوتو في الحديث عن خطر السنوسية على الاستعمار الفرنسي وسمعته الحضارية فيقول: لقد أصبح السنوسي في جهة ليست بعيدة من الأصقاع التي هي أملاكنا في الجزائر مما جعله خطرا له أتباع وأنصار ومن مذهبهم التشدد في القواعد الدينية وقد مكثوا زمنا مديدا لا يرتبطون بعلاقة ما مع الدولة العلية العثمانية رغم ما بينها من العلاقات وبين الدول المسيحية [الاستعمارية الأوروبية] وهم يطرحون جانبا الدسائس التي وقفت رجال عثمانيا عن كل عمل مفيد لصالحه في طريقته المحبوبة فهذا في قرانا وبلادنا كذا نرى الدرويش الفقير متدثرا بأرديته البيضاء المعلمة بخطوط سوداء يلهج لسانه بذكر الله والصلاة على نبيه لا يلويه عن ذلك شيء وهذا الدرويش الذي ينتقل من خيمة إلى خيمة ومن قرية إلى قرية زوايا حوت الأقطاب الأولياء من مشايخ الإسلام إنما ينشر في القلوب، حيثما حل وأينما توجه، بدون تعب ... عنت

وعندما ضغطت الدول الأوروبية الاستعمارية على السلطان العثماني عبد الحميد [١٢٥٨ - ١٣٣٦هـ = ١٨٤٢ - ١٩١٨م] كي يوقف النشاط السنوسي استجاب لهذا الضغط بعد تمنع

[illegible]

وإبطاء. فاستدعى المهدي السنوسي [١٢٦٠ - ١٣٢٠هـ =
١٨٤٤ - ١٩٠٢م] ليقيم في الآستانة في «قفص ذهبي» كالذي
أحس فيه ذلك السلطان جمال الدين الأفغاني حول ذات
التاريخ. ولكن المهدي السنوسي تخلص من هذا الفخ
متلطفًا بل وبعث مقره بعيدًا في الصحراء الليبية فغادر
«جغبوب» إلى «الكفرة». فلما زاد الخطر وقرب انتقل من
«الكفرة» إلى «قرو» بالسودان الأوسط.

بل إن السنوسية لم تدرك الضعف العثماني قد حول الدولة
العثمانية إلى جدار منهار، ثغرات التي تتسلل من خلالها جيوش
الغرب الاستعماري كي تنهب ديار العروبة والإسلام. حتى لقد
غدا الترك - كما يقول جمال الشريف السنوسي - مقدمة للنصارى
[أي للمستعمرين الأوربيين] ما دخلوا محلا إلا ودخله النصارى
حتى ليقول المهدي السنوسي: الترك والنصارى وإني أقاتلهم معًا».

فالسنوسيون، بموقفهم مع العربية ومع الإسلام العربي
وبعدائهم لأعدائهم الأوربيين كان هؤلاء الأعداء أو ترك
عثمانيين وأجانب، قد أعادوا وبعثوا من فروسية عربية في
الخلق والقتال، ومن اختاروا الله من ضرورة عروبة الخلافة
وقرشيتها، كانوا أصحاب إسهام عظيم على هذه الجبهة من
جبهات الاستقلال الحضاري لأمتنا العربية الإسلامية.

■ وإذا كانت السنوسية أبدعت السنوسية بعثًا عسكريًا يجذب
الأنظار ويدعو البصائر إلى التأمل العميق. فالسنوسي كان صاحب
نظر في العلوم الطبيعية واقتناء الأدوات التي جاءت بتجديد في
علوم الدين واجتهاد فيها. وقاوم الخطر الاستعماري بين من

والمحقق والممهد لكيان الأمة، أدرك المرابطون [illegible] لا بد من «المرابطة» بما عناه هذا النظام في تاريخ الإسلام من تنظيم [illegible] وحشد لها في وحدات مقاومة متفرغة تتصدى [illegible] والغارات لخطر الأعداء. فكانت فكرة «الرباط» [illegible] كمؤسسة متكاملة لصنع الرجال [illegible] ومجاهدة الأعداء ونشر العروبة والإسلام. كانت [illegible] الإسلامي الحديث الذي [illegible] الرباط [illegible] والمرابطة الإسلامية الأولى التي قال عنها الرسول ﷺ: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها»(1) والتي قامت عليها وباسمها دولة [illegible] الإسلام بالمغرب حيث [illegible] دولة المرابطين [448 - 541هـ = 1056 - 1146م].

كانت «الزاوية» السنوسية هي مؤسسة [الحركة] ومزرعة [illegible] ونموذج المجتمع الجديد [illegible] فغير المسجد، نجد فيها منزلا لقائدها [المقدم] - وللوكيل وللشيخ، وفيها بيوت للضيوف وعابري السبيل والفقراء [illegible] لا مأوى لهم، وفيها مساكن للخدم ومخازن [illegible] [illegible] وحول هذه المباني [illegible] المساكن الخاصة بالقبائل التي تقوم الزاوية في منطقتهم لخدمتهم [illegible]

وللزاوية أرض زراعية خاصة بها [illegible] لحفظ المياه [illegible] القبائل بلا أجر يوم الخميس من كل أسبوع كما [illegible] يوم

(1) رواه البخاري ومسلم وأحمد [illegible] والدارمي [illegible]

تجمعه من كل اسبوع على الفروسية والعمل والمحصول، رعي [illegible]
الزاوية تعتمد على احتياجات مكوناتها وتسد حوائج عديدة وكانت
وتعليم وعلاف وزراعة [illegible] لمقر الطريقة الرئيسي

ويقدم الزاوية هو مقدم شيخ الطريقة وقد ينتسب في تحديد
والوكيل، هو المشرف على الزراعة ونشر [illegible] والاقتصاد [illegible]
[illegible] تعليم وتعليم الزوايا ومن هؤلاء [illegible] ومن
رؤساء [illegible] الزاوية [illegible]

ثبت في الرواية السنوسية [illegible] أن الزاوية مزدهرة [illegible]
[illegible] الخطر [illegible]
عن [illegible] والإسلام والجهاد في سبيل الله وقد وصفها
السنوسي [illegible] الأرض [illegible] من حولها بأنواع الأشجار
ويكثر بها السكان لكثرة الثمار [illegible] فيها مزدهرة وتتسع
الأرض والعاملون فيها بالزراعة والحرف [illegible] عبد الله
[illegible] على الأوراق والورق [illegible]

وقد وصف [illegible] الزاوية، وحدد الخطر المحدق بأهلها
[illegible] هذا [illegible] السنوسي في
[illegible]
[illegible] في [illegible] أهل [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible] ١٩١٠ [illegible]
١٩١١ [illegible]

٣- المهدية

في جزيرة لبب على بعد خمسة عشر كيلومترا من دنقلة بالسودان ولد مؤسس المهدية المهدي محمد أحمد [١٢٦٠ - ١٣٠٢هـ = ١٨٤٤ - ١٨٨٥م] في أسرة فقيرة فقعدت بها إمكانياتها الفقيرة عن أن ترسله إلى الأزهر الشريف كي يتعلم فيه فاحترف النجارة لكنه حضر على الفقهاء حلقات المحسنين ومارس التعليم بذاته في الخلوات [illegible] حتى ذاعت شهرته وعلا نجمه وأصبح في الطريقة السمانية خليفة له أتباع ومريدون ثم أصبح شيخا لهذه الطريقة سنة [١٢٩٧هـ = ١٨٨٠م].

وكان محمد أحمد طموحا إلى الإصلاح بعد [illegible] وإلى بناء مجتمع على غرار مجتمع الرسول ﷺ في صدر الإسلام وقد [illegible] على [illegible] الإصلاح بالفقهاء والحكام لكنهم خذلوه، فاتجه إلى عامة الناس.

وفي [أول من شعبان سنة ١٢٩٨هـ = ٢٩ يونيو سنة ١٨٨١م] أعلن محمد أحمد على الناس أنه المهدي وأن الرسول ﷺ قد جاءه في الرؤيا، وكلفه بالمهدية و[illegible]

الناس في الأعباء ... وأن الهجرة إليه والجهاد معه لإقامة الدين وتحرير البلاد من الأتراك والأجانب ... الإسلام ... التي ...

كانت مهمة التجديد والإيقاظ والتحرير السياسي أكثر صعوبة منها في غيره من البلاد، فوجود ... والتخلف الفكري والسياسي ... الحظ ... والفقهاء قد تحولوا إلى أداة للحكام ... على الشعوب ... في ... وضعفهم ... لجرأته في ... والعقاب بهم العقول.

ومع هذه المهمة الصعبة وقف محمد أحمد المهدي ... حتى مثل الأسطورة المهدية ... وغدت هذه الأسطورة ... الفعل في صهر الأمة وتوحيد مجموعة واستنفارها للجهاد خلف مهديها للتجديد والتحرير والإصلاح.

* * *

■ وقد واكب المهدية ... الثورة العرابية ... توفيق [١٢٦٨ - ١٣٠٩ هـ ١٨٥٢ - ١٨٩٢م] والاحتلال الأوربي

[illegible]

الاستعمارى فى مصر وكان هذا [illegible] من
القوى التى صعب [illegible] الآثار [illegible]
[illegible] فى هذا الثالوث، المكون من الأوربيين
والأتراك والحكومة الخديوية عدوا واحدا وبلاء [illegible]

فبعد معاهدة لندن سنة ١٢٥٦هـ = ١٨٤٠م التى [illegible]
احتراق تجربة مصر [illegible] من قبل أوربا، واشتد [illegible]
النفوذ الأجنبى فى مصر خاصة فى حكم الخديو سعيد [١٢٧٠
- ١٢٧٩هـ = ١٨٤٥ - ١٨٦٣م] والخديو إسماعيل ١٢٧٩
- ١٢٩٦هـ = ١٨٦٣ - ١٨٧٩م] وصار أكثر عمقا فى حكم
الخديو توفيق [١٢٩٦هـ - ١٨٧٩م] وانعكس ذلك على السودان
الذى كانت إدارته للحكومة الخديوية المصرية [illegible]
تعيين العديد من الأوربيين حكاما على أقاليم السودان [illegible]
باسم الخديو [illegible] حكم الاستعمار الأجنبى [illegible]
[illegible] حكم [illegible]
[illegible] حكم [illegible]
[illegible]
حكم [illegible]

وكان السودانيون يسمون الحكم الخديوى بالحكم التركى
ويصفون حكامهم بالأتراك، وردت مبررات هذا الوصف عندما
انحاز الخديوى توفيق إلى الغرب والأتراك ضد الثورة العرابية

وكانت [illegible] الأجنبية [illegible] التركى [illegible] فى
السودان وبأهله حد المأساة!

وأمام هذا العدو كان رد فعل المهدية معاديًا للأتراك فهم

الكفرة [illegible] من حيث هم أعداء لا بد من [illegible] حتى

في الرأي والعقيدة والتعاليم ولا مجال للتعامل معهم إلا بالسيف.

يقول المهدي[1] لأتباعه في خطاباته ومنشوراته معبرًا عن

مراده [illegible] قسمة عربية معادية للسيطرة التركية» يقول «اتركوا

كل ما يؤدي إلى التشبه بالترك الكفرة، كما قال الله تعالى في

الحديث القدسي «قل لعبادي المؤمنين الذين لا يدخلون مداخل

أعدائي ولا يلبسون ملابس أعدائي فيكونون أعدائي كما هم

أعدائي» فكل الذي يكون من علاماتهم ولباسهم فاتركوه

وهو يحدثهم عن أن رسول الله ﷺ قد أمره بذلك وحرضه

عليه [illegible] لترك واحد من [illegible] المهدية فيقول لأتباعه

لقد حرضني سيد الوجود ﷺ على قتال الترك وجهادهم بعد

أمرني النبي أمرًا صريحًا بقتال الترك وخبرنا بأنهم كفار

بمخالفتهم أمر الرسول [illegible] وإرادتهم إطفاء نور الله تعالى

الذي أراد به إظهار عدله. وقد أعلمني الرسول أن الترك لا يطهرهم

الموعظ بل لا يطهرهم إلا السيف[2] لأمر [illegible]

وهو يذكرهم بظلم الترك وعسفهم فيقول [illegible] إن الترك قد

وضعوا الجزية في رقابكم مع سائر المسلمين وكانوا يسحبون

(1) [illegible] ص [illegible] [illegible] ١٩٦٩م

(2) [illegible] ١٤ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣٣٢

رجالكم، ويسجنونهم في القيود ويأسرون نساءكم وأولادكم ويقتلون النفس التي حرم الله بغير حق، وكل دين لا حق [illegible] التي لم يأمر الله بها ولا رسوله، فلم يرحموا صغيركم ولم يوقروا كبيركم

فنحن قومية [illegible] قومية عربية استشعرت فيهم روح المغايرة» للأتراك. وكان هذا إسهاما للتمهيد على درب التمايز القومي عن الأتراك العثمانيين.

[illegible]

● وإذا [illegible] الفكرية التي بلغت بها طرق التصوف [illegible] فيه الخرافة والسطوة كانت دعوة [illegible] [illegible] الإسلامي وتكشف عن [illegible] الفكر [illegible] [illegible] [illegible] إلى [illegible] [illegible] التي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في زمن النبي، على حسب مصالح الخلق، وكذلك الأحاديث ينسخ بعضها البعض على حسب المصالح [illegible]

[illegible]

من سلف من المهديين السابقين على نهج محمد ﷺ
فاتبعوا احكامي كلام الله في القرآن ولا تتبعوا [illegible] فانها [illegible]
الزمان وقد بايعتموني على ان لا تشركوا بالله شيئا

لقد عادت المهدية على الجبهة الفكرية لتستلهم المنابع الأولى فالمهدي خليفة الرسول وخلفاؤه هم خلفاء الراشدين الاربعة، وهم قد تخطوا بذلك تجارب الامة العباسية التي [illegible] لشمس وفقدت حضارتنا الاستقلال. وعلى الجبهة الفكرية ألغت «المهدية» تراث المذاهب الفقهية او حولته الى تراث ثانوي ودون «المهدي» [illegible] احكاما فقهية لم يلتزم بمذهب معين [illegible] وإن أصبح فيما بعد من المذاهب [illegible] اكثر من [illegible] كما ألغت «الطرق الصوفية» وتراثها الخرافي، وعادت تستلهم الكتاب والسنة وتعلي من قدر المصلحة في تفسيرها لنصوصهما لمتغيرات الزمان [illegible] الاجتهاد الى هذه [illegible] المتجددة

وكان هذا المهدية تبكير على درب الاستقلال الحضاري للأمة

* * *

● وعلى جبهة [illegible] وحدت المهدية في جماعة فكر الاجتماعي للإسلام [illegible] الفكر الفطري الذي [illegible] المجتمع السوداني [illegible] والبسيط، والذي لم [illegible] فيه بعد [illegible] كما وجدت فيها [illegible] الثوري الداعي للمظالم الاجتماعية التي [illegible] وكتوو [illegible] قرون تطاول عليها الأمد.

(١) المصدر السابق ص ٣٨٨ ، ٣١

لقد انحاز الحكام والفقهاء إلى صف أعداء «المهدية» وخصومهم المتمتعون بالظلم الاجتماعي الذي ساد في [illegible] «المهدي» وأنصاره فإن ألسنتهم الساخرة قد [illegible] من [illegible] والفقراء والأعراب، الذين حرموا من الثروة ومن التعليم [illegible] و«المهدي» قد استنفر جماهيرهم إلى الجهاد [illegible] الموعودة وهيأ لهم سبل العيش وأدوات الجهاد بالجماعة الإسلامية التي قدمها لهم في الثروات والأموال والاقتصاد.

وعندما كان خصوم «المهدية» يعيبون عليها فقر أتباعها في المال والتعليم كان «المهدي» يفخر ويفخر على هؤلاء بخصومه بهذا الفقر [illegible] ويتمسك هو وأتباعه في سبيل [illegible] الصالح [illegible] أتباع الرسل كانوا هم الضعفاء والجهلاء [illegible] الملوك و[illegible] وأهل الترف فهم [illegible] ديارهم وقتلوا [illegible] ومكروهم بالقهر كما قال تعالى حاكيا عن قوم نوح ﴿وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي﴾(1) وقال تعالى ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون (34) وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين﴾(2) ولقد قال أهل [illegible] عن [illegible] الأعراب عراة الأجساد جياع الأكباد [illegible] عليهم [illegible] والمسكنة وجعلهم الله [illegible] الضعفاء [illegible]

---

(1) هود: 27

(2) سبأ: 34، 35

لمن كانوا يستثيرون بهذا وكيف يرجع عنها يبكي الأغنياء ومن ورائهم عيينة لسد رقة حيلاً ولا غرر .

ويرد المهدي على خصومه من الأثرياء والمخدوعين من التابعين عن الأثرياء بحجة أنه من كان في صحابة رسول الله ﷺ من كانوا أغنياء يملكون أسفار المعروف برد المهدي على خصومه هؤلاء وبنفس منهجهم فقد كان من الصحابة الذين تمرسوا بالأسفار لم يحسبوا عليهم إلا بعد أخروا عن كرامة حتى يشكر بها الله في قلوبهم ومن كان عنده منهم شيء غير أنه كان في أيديهم لا في قلوبهم وكانوا عليها كالوكلاء ينفقونها حسب أوامر موكلهم ومولاهم وبذا قال الله فيهم «وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه»[1] وقد قال «وأنفقوا مما رزقناكم» وقد[2] آخر صحابي دخولاً للجنة عبد الرحمن بن عوف لكثرة غناه وهو أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتي

واستطلاعاً من هذا الفكر الإسلامي الأصيل في مجمعة واستجابة لضرورات المجتمع السوداني وطبيعته قدم المهدي التجربة الاجتماعية المتميزة عن التطبيقات العثمانية والمصرية وعن تطبيقات الحضارة الأوربية في الأموال والاقتصاد. ففي لتطبيقه بالمهدية كان الساعون يعطون أنفسهم وأموالهم وهو هنا يرمز والتحسب للجماعة والدولة وفي الأرض

١ منشورات المهدية ص ٣١٢ ، ٣١٤

٢ الأنفال [illegible]

٣ الحديد ٧

٤ منشورات المهدية ص ٣٢ ، ٣٤ [illegible] ٣٣٦

[illegible] وقف سلطكيه عند الحد الذي يستطيع الإنسان [illegible] يزرعه وما زاد على ذلك [illegible] لأخيه المؤمن المحتاج [illegible] الدكاكين والوكالات [illegible] والعقارات [illegible] والطواحين وموس [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كالهواء [illegible] عامة فهي [illegible]

وفي هذا [illegible] الاجتماعي [illegible] للإنسان المقدير [illegible] من احتياجات ضرورية [illegible] على الضرورات [illegible] [illegible] ضرورية [illegible] على الضرورة إنما هو على العبد [illegible] ومصالح الخلق كلها متعلقة [illegible] كما يقول المهدي

هكذا [illegible] في [illegible] الاجتماعي [illegible] خاصة [illegible] الإسلام [illegible] بضرورات [illegible]

[illegible] يستلهم الأسطورة التراثية التي [illegible] الأسطوري الذي تعده السماء [illegible] من مأزقه، فيملأ الأرض عدلا بعد أن امتلأت بالجور و [illegible]

* * *

هذا عن دعوات التجديد الديني السلفية [illegible] [illegible] [illegible] في الأقوال من [illegible] الاستقلال [illegible]

---

(١) المصدر السابق ص ٢٢٨ [illegible] ٢٦١

ومن أكبر هذه الأعمال [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] وهي مدرسة الجامعة الإسلامية التي تكونت من جمال الدين الأفغاني [١٢٥٤ - ١٣١٤هـ ١٨٣٨ - ١٨٩٧م]، والإمام محمد عبده [١٢٦٥ - ١٣٢٣هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥م] وعبد الرحمن الكواكبي [١٢٧٠ - ١٣٢٠هـ ١٨٥٤ - ١٩٠٢م] وعبد الحميد بن باديس [١٣٠٥ - ١٣٥٩هـ ١٨٨٧ - ١٩٤٠م] فتيار [الجامعة الإسلامية] هذا قد استقامت في تجارب [illegible] في هذا المجال ولدت وحدة عنده

أ- [illegible] في الدين بالعودة والعقلانية [illegible]

ب- العروبة في القومية على أسس حضارية [illegible]

ج- الموازنة بين الخصوصية الحضارية وبين الاستفادة من الحضارات الأخرى

د- [illegible] المستنيرة في [illegible]

هـ- الموازنة بين الخصوصية القومية للعرب وبين الرابطة الإسلامية الجامعة لكل شعوب دار الإسلام

ففي فكر أعلام هذا التيار [illegible] تجسدت [illegible] وضرورة [illegible] الاستقلال الحضاري لأمة العروبة والإسلام

النهضة المصرية والاستقلال الحضارى

الأمر الذى لا شك فيه أن النهضة المصرية التى عرفت محمد على باشا الكبير [١١٨٤ - ١٢٦٥هـ = ١١٧٠ - ١٨٤٩م] هى التى دخلت بعالمنا العربى وشرقنا الإسلامى فى رحاب عصر اليقظة والبعث والإحياء العصر الحديث.

لقد تطلعت مصر إلى هذه النهضة على عهد حكم على بك الكبير [١١٤٠ - ١١٨٧هـ = ١٧٢٨ - ١٧٧٣م] ثم جاءت الحملة الفرنسية [١٢١٣هـ = ١٧٩٨م] لتنبه الأذهان بواسطة الحضور القادم فى ركاب الغزو الاستعمارى وبمعاونة الدرس الكهنوتى الذى لم تحقق صحبته عقليتها ولم تكن الشعب الحقيقى للمصريين ومعبر حياتهم ... ولكن الشبه بينهما كى تستنفد ... العصر ... المعاصرون ولقد تحسس هذا الأمر فى كله ... الذى خالط علماء الحملة الفرنسية الشيخ حسن العطار [١١٨٠ - ١٢٥٠هـ = ١٧٦٦ - ١٨٣٥م] والتى تقوم ... بلاد الأمد ...

مصر ونقل فيه من العلوم والمعارف ما ليس فيها"، ثم جاءت التجربة الإصلاحية التي قادها محمد علي لتضع أسس النسق الحديث في المدارسة والتطبيق".

صحيح أن دعوات دينية سلفية قد سبقت النهضة المصرية هذه في بلاد عربية وحدوث التحدي الخطير المتخلف لما سمي تقليدي الموروث عن العصر المملوكي العثماني، والذي يشل حضور الأمة ويكبل عقلها فيجعلها عاجزة عن النهوض وتحرير الاستقدام الغربي محمد الذي جاء في ركاب الحملة الأوروبية الحديثة يريد نهب خيرات الأرض ويحتل المواقع الاستراتيجية والبلاد وتكريسه نفسه شخصيتها القومية المتميزة وسحقها عن قسمات التي تميزها العربية الإسلامية الخاصة بها.

لكن هذه الدعوات الدينية السلفية التي سبقت النهضة المصرية في الزمن، لكنها قد سلكت طريقاً متميزاً عن ذلك الذي سلكه محمد علي وهو يسعى بمصر في طريق النهضة والإصلاح.

■ فالوهابية مثلاً قد كانت لها الريادة من حيث الزمن المبكر والتوقيت على سلوك النهضة المصرية، فكل من حيث قد تبلورت — كما قدمنا — حول دعوة محمد بن عبد الوهاب [١١١٥ - ١٢٠٦هـ ١٧٠٣ - ١٧٩٢م] في نجد بشبه الجزيرة العربية والقمة. وتمثيلها في التحالف الذي عقده الشيخ مع أمير الدرعية محمد بن سعود [١١٥٨هـ ١٧٤٥م].

■ أما «السنوسية»، فإنها عاصرت نهضة محمد علي ثم استمرت بعدها. فهي قد تبلورت — كما سبق وأشرنا — حول

دعوته ومؤسسها محمد بن علي السنوسي [١٢٠٢ - ١٢٧٦هـ = ١٧٨٧- ١٨٥٩م]. وأقامت رباطاتها وكونت مدارسها ومريديها، وأنجزت أعظم انتصاراتها خلال القرن التاسع عشر والعقود الأولى من القرن العشرين.

لكن لا السبق التاريخي الذي كان للوهابية على نهضة محمد علي، ولا الاستمرارية التي تحققت للسنوسية بعد بعث أوروبا واستعمارها لنهضة مصر الحديثة، يمكن أن يعطي لواء الريادة للشرق في عصر النهضة والإحياء لهذه الدعوات، وإنما يظل لواء هذه الريادة معقودًا لمصر، فهي التي دخلت بأمتها العربية، بل وبعالمها الإسلامي إلى رحاب العصر الجديد، وحققت لهما معالم اليقظة والتنوير.

أما سبب هذه الريادة فهو ما تميزت به وامتازت تلك النهضة عن تلك الحركات التجديدية الدينية السلفية من خصائص ومميزات.. وفي مقدمتها:

أ - أن هذه النهضة المصرية قد نشأت وتطورت في مجتمع متحضر سابق، وفي مناخ بالغ بمقاييس عصره، متحضر في طليعة دول الوطن العربي وعالم الإسلام ... من والدولة المركزية القوية لها في مصر طول عمر في تاريخ «الدولة» على الإطلاق.

والطبقات الاجتماعية متبلورة إلى حد كبير، والمواريث الفكرية قد تجاوزت «التبسيط» إلى «التركيب» والأزهر رغم ...

سلبته من حدود العصور الوسطى قد حفظ مصر بلغتها وبتعليم موحدة ومستقلة حتى من العصر المملوكي العثماني لمصر

ولتوضيح القدر الذي تميزت به مصر كمركز خلافة أو سلطنة أو على الأقل كولاية تتمتع بالاستقلال الذاتي قد ثبت وفرض نفسه وأحدث ثورة على وضع البلاد وعلاقاتها بعواصم الدولة الإسلامية وولاياتها منذ أن استقل بها الطولونيون في عهد مؤسس دولتهم أحمد بن طولون [٢٢٠ - ٢٧٠هـ ٨٣٥ - ٨٨٤م] وألحقوا بها أقاليم أخرى في المشرق العربي.

فلم تكن مصر بعد الصحراء، ولا هي كانت للصحراء تابعة.

ب- كما تميزت هذه النهضة المصرية التي قادها محمد علي باشا، بكونها حركة «إصلاح مدني» قادها مصلحون مدنيون ونهضت بأعبائها كوكبة من المثقفين والعلماء والقادة والمديرون الذين تميزوا عن «المصلحين الدينيين»، والذين لم يتقدموا إلى الأمة «كفقهاء» وعلماء دين فالمحصلة للإصلاح كانت «مدنية»، والمعايير في هذا «الإصلاح» كانت مصلحة الأمة والموقف من الأمر في هذه التجربة قد تمثل في:

■ تخلي «الصفوة» المثقفة الذين رفضوا «الإصلاح المدني» والمحصور إزاءه مع تركهم عالمهم، وترك عالمهم لهم يحسون فيه ويفكرون له على نحو ما كان الحال قبل عصر النهضة والإصلاح.

● وتخلي من يأبى «الإصلاح المدني» الذي سبقت له التجربة وطبقته ما يشيء من المسلمات الدينية في أحمع

الناس على فرسنك أو منكرا لأمر من الأمور التي عرفت من الدين بالضرورة، ومخططا لتصور من التصورات التي اكتسبت قدسية [illegible] حتى أصبحت الفرصة لأعداء الإصلاح من علماء الدين لاستنفار العامة ضد هذا الإصلاح.

ولم يكن الموقف مقتصرا على شأن الدين وعقيدته [illegible] فكرية من جهود [illegible] في الإسلام في نهضته الأولى الحديثة ولم يؤثر هذا النهضة على التجديد الإسلامي والإسلام [illegible] الأمة ضد الإسلام وضد [illegible] في نهضته على [illegible] لقد [illegible] في النهضة الأوربية وإنما لدى حكم موقف مقتصر على هذا وحده [illegible] المدنية [illegible] وصار الإصلاح هو

١ - أن [illegible] لم يكن من علماء الدين [illegible] لا [illegible] ثم إنه هو [illegible] الإصلاح وقائده [illegible] لم يكن [illegible] لعقيدته كما كان [illegible] بن سعود مع ابن عبد الوهاب.

٢ - [illegible] صورة [illegible] قبل [illegible] أولى من حكمه على وجه الخصوص [illegible] في [illegible] و [illegible] لتعرض الاحترام على من هو في [illegible] [illegible] من [illegible] قد [illegible] من [illegible] حتى [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] لا [illegible] من قصلا عن [illegible] لقيادة الإصلاح وفي وصف الجبرتي [١١٦٧ - ١٢٣١هـ

١٧٥٤ - ١٨٢٢م] لحدثنا عن هؤلاء [illegible] وهو المتحدث في [illegible] وفي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والحرص [illegible] وتدريس العلم لا مقدار حفظ الدروس مع ترك العمل بالكلية وصار بيت أحدهم مثل بيت أحد الأمراء [illegible] واتخذوا الخدم والمقدمين والأعوان وأجروا الحبس والتعذيب والضرب وصار ديدنهم وهمتهم سلوك الأمور الدنيوية والحصص والالتزام، وحساب الميري والفائض والمضاف والبرنية والمرافعات، والمراسلات زيادة عما هو فيهم من التفاخر والتحاسد والتحاقد على الرياسة والتقدم والتكالب على سفاسف الأمور وحظوظ الأنفس على الأشياء الواهية؟

٣- حتى الرجل الذي تميز عن هؤلاء العلماء والشيوخ بالثورية والالتحام بالجماهير وهو السيد عمر مكرم [١١٦٨ - ١٢٣٧هـ = ١٧٥٥ - ١٨٢٢م] كان هدفه وهدف محمد علي [illegible] على نحو جعل [illegible] [illegible] شيئا مستحيلا [illegible] معهم كان بلا جدوى الأمر الذي جعل صداقتهما [illegible] مبكر [illegible] خذل الشيوخ زميلهم السيد عمر [illegible] [illegible] الأوقاف [illegible] هو كذلك إلى محرقة المماليك، كشركاء في [illegible] السلطة، كي يحول دون انفراد محمد علي بها [illegible] لمعرفة [illegible] عند [illegible] النظام الظالم القديم وهو الذي سبق أن قاد الأمة ضد هذا النظام القديم! فكان [illegible]

[١] عجائب الآثار في التراجم والأخبار] ج٧ ص ١٤، ١٥ - طبعة القاهرة سنة ١٩٥٨م

يتخلص منه محمد علي بقراره، واتفق غياب بعضهم [illegible]
والبعض الآخر تطوع بترسيخ هؤلاء العلماء

٤ - والفكرية المحافظة والجامدة التي كان عليها هؤلاء الشيوخ، فكرية العصور الوسطى، التي ستنتهي إلى غلق باب الاجتهاد، واستمرت الكسل العقلي عن مقاومة الحق والإبداع، وكانت بالحركات العلمية في مرتبة المتون والحواشي والشروح، والمختصرات والملخصات، والاعتراضات [illegible] لذلك إن هذه الفكرية ما كان لها ولا لأصحابها أن يكونوا مرادفة لإصلاح ولا لقيادة الذين يحتطون من فكرهم ليديروا حركة النهضة، ومن هنا مثل محمد علي الساعي لزرع الإصلاح الإسلامي في تربة مصر وعقل الأمة ووجدانها. لقد كان هؤلاء الشيوخ يعيشون أسرى فكرية العصر القديم بينما كانت البلاد تتطلع إلى عصر جديد، فكان الانفصام بينهم وبين هذه النهضة قدرًا مقدورًا. وصدق عليهم [illegible] «الإصلاح الديني» [illegible] على محمد علي، رائد الإصلاح الديني، [illegible] شيء لا يعجبه.

هكذا تميزت نهضة محمد علي عن حركات الإصلاح الديني ودعواته، لأنها لم تجد المصلح الديني الذي توكل مسئولية الدينية، فمضت متحصرا كمصر فكان أن بدت نهضة إصلاح مدني، إن في المنطلقات وإن في المعايير وإن في الغايات وإن في الأدوات، وإن لم تخرجها طابعها المدني عن النسق الحافظ لاستمرارية روح شريعة الإسلام.

---

(١) المصدر السابق ج٧ ص٦٧ – ٧٦

■ في تلك الفترة ... انتقلت ... مصر إلى مرحلة جديدة ... وتحولت ... الإصلاحات إلى حال «كيفي» جديد

ففي الزراعة ألغى نظام الالتزام [١٢٢٩هـ ١٨١٤م] ووزعت الأرض على الملاحين ... من ثلاثة ... إلى خمسة أفدنة ... وسيطرت الدولة ... على الإنتاج الزراعي، وتطورت ... وحدث ... في الري والصرف وزادت الرقعة المزروعة ... إلى نحو ثلاثة أمثالها ... وتحول ... من ... إلى الفلاحين.

وفي التجارة ... سيطرت الدولة ... على السوق الداخلي والخارجي ... البورجوازية التجارية الوطنية التي ... للسوق التجاري ... للمشروع الاقتصادي المستقل

وفي الصناعة ... النهضة ... قاعدة صناعية كبرى ... مرتبطة بالإنتاج الوطني ... عسكرية ومدنية ... وتخطيطها ... وكانت ساعدة في ... للسكان وللولايات الأجنبية ... هذه الولايات ...

وفي ... الدولة ... البعثات العلمية التي ... دورهم في ... وفي تطوير

الثقافة العربية الإسلامية [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ١٠ [illegible] ٢١٨هـ

١٨٦ - ٨٢٣م [illegible] سنة ١٢٣٠هـ

١٨٢٠م] [illegible]

وفي [illegible] العربية [illegible]

عامة إلى الفصحى وشرعت [illegible] العربية [illegible]

التراث العربي الإسلامي التي [illegible]

[illegible]

[illegible] على [illegible]

[illegible]

غير [illegible]

[illegible]

[illegible] العربية [illegible]

[illegible]

[illegible] مع الدولة العثمانية [illegible]

العلاج [illegible] من [illegible]

[illegible]

[illegible]

ثم هي قد استعادت مع محمد علي وجيشه حقيقة دورها في قيادة العرب، هنا في حرب عربية ببلاد العرب لمدة سبع سنوات [١٢٢٦ - ١٢٣٤هـ = ١٨١١ - ١٨١٨م] واصبحت مصر بانتصاراتها في هذه الحرب هو الحامي الحقيقي للحرمين الشريفين... فعادت لمصر مكانتها... لم تنعم ولاحت في الأفق خريطة دولة صلاح الدين الأيوبي [٥٣٢ - ٥٨٩هـ = ١١٣١ - ١١٩٣م] التي كانت طوق النجاة من خطر قديم عاد لأن من جديد.

ثم إن الجندية المصرية قد كونت كوادر عربية بلورت الهوية... من الجنود الذين أتوا مع محمد علي إلى مصر صغاراً، فعاشوا فيها شباباً عرباً جعلتهم يعتزون بالعروبة، وينفرون من الانتساب إلى الأتراك. وفي مقدمة هؤلاء القادة ابن محمد علي، إبراهيم باشا [١٢٠٤ - ١٢٦٤هـ = ١٧٩٠ - ١٨٤٨م] الذي كان يستنكر نسبته التركية، ويقول: «أنا لست تركياً، فإني جئت مصر صبياً، ومنذ ذلك الحين مصرتني شمسها، وغيرت من دمي وجعلته دماً عربياً»[1]

ومصطفى مختار بك [١٢٥٤هـ = ١٨٣٨م] - أحد كبار مستشاري إبراهيم باشا العسكريين وناظر المعارف - الذي يعبر عن هذه «الهوية العربية» عندما يقول: «إننا وإن كنا من عائلات موجودين في تركيا، لكننا قد اكتسبنا جنسية [الجنسية] مصرية بحكم النمو... فقد أصبحت مصر... أن نتحول عن نصيب...

(١) محمد عمارة: العروبة في العصر الحديث ص ١٤٦ طبعة بيروت سنة ١٩٨١م

الآن تراكـ[illegible] [illegible] [illegible]

طريقه انتما سار سوى [illegible] الخراب ولقد اندمجنا فى امة اخرى ارقى وانبل وازكى من [illegible] المركبة، اندمجنا في قلب الامة العربية [illegible] [illegible] [illegible] الحضارة [illegible] [illegible] [illegible] وسودوا [illegible] العمران [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] النهضة عوامل [illegible] حدود هذه الدولة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible][2]

وكانت فتوحات محمد علي في السودان [١٢٣٥ – ١٢٣٧هـ ١٨٢٠ – ١٨٢٢م] والحملة على الشام [١٢٤٧هـ - ١٨٣١م] وسمور النهضة ودولتها مصر والسودان والاجزاء العربية على الساحل الشرقي لافريقيا مع الشام و[illegible] [illegible] [illegible] الجزيرة العربية وامتداد نفوذها الى العراق والخليج [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عربي في عصرنا الحديث.

* * *

● [illegible] [illegible] عن علاقة هذه النهضة بالاسلام [illegible] [illegible] الخالدة لامتنا الواحدة؟

١ المرجع السابق ص ١٠ [illegible]

٢ المرجع السابق ص ١٣٥ [illegible]

في مقطع حصة من التحديث وبين الفكر الإسلامي وهي كانت ضرورة للعقل العربي الذي وقف محمد علي بلاده واقفة في صدر الشرق.

إن التحدي لم يكن فحسب على هذا المستوى يجب لكنه في رائد البلاد بالنهضة ويحسبه نحو.

فمنذ البداية كان وأصحاب محمد علي باشا يأخذ عن أوروبا العصر الحديث لتحقيق الرقي ولا يأخذ عنها العلم و الثقافة و التطور والبعثات العلمية التي ذهبت إلى أوروبا وتعلمت ثم عادت بتصنيع الأفكار لتعليم وتعطي النهضة روحها الفكري ورفاعة الطهطاوي [١٢١٦ - ١٢٩٠هـ = ١٨٠١- ١٨٧٣م] نموذج لها – قد رأت أوروبا بعين إسلامية مسلمة فسعت إلى التمدن العملي وإلى العلوم العلمية وإلى «المعارف البشرية المدنية» وإلى «فنون الصناعة»، ثم حدثت به مجيدة بينا الأمة مجتهدة في اكتساب علوم مقتضية هذه العلوم لما تختص به من فقه و عقائد وقسمات حضارية مميزة لنا بل وأعلنت أن أصل هذه العلوم المسرى هو من علوم حضارتنا في عصر ازدهارها أخذه الأوروبيون فنهضوا به ثم طوروه وقد عندها هو ما لم يخرجوا العقائد ولا الدين ولا خصائصنا الحضارية بل تقدموا بالتمدن الإسلامي والعربي في نهضتهم ومع ذلك صنو مميزين حضارتنا فنحن إذ نأخذ اليوم «التمدن الأوروبي» لننهض به من نهضتنا في الحضارة ونحن وقد هو إلا بضاعتنا قد ردت إلينا كما يقول الطهطاوي

ونشهد على أن هذا كان موقف هذه النهضة من هذه الحقبة [illegible] الحكم الذي [illegible] في كل ما كتب [illegible] المؤرخين [illegible] تقييم نهضة محمد علي [illegible] عنهم [illegible] على أوروبا [illegible] علوم الصنعة [illegible] ولم [illegible] و[illegible] ومصر [illegible] على هذا [illegible]

وهو الذي [illegible] والنهضة التي [illegible]

وغير هذا [illegible] على [illegible] رفاعة الطهطاوي الذي كان النموذج [illegible] بين [illegible] الإسلامي وبين [illegible] الأوروبي [illegible] الطهطاوي [illegible] على [illegible] بالإسلام [illegible]

[illegible] الأوروبي [illegible] على [illegible] الاستفادة من [illegible] هويته القومية والشرقية [illegible] الإسلامية [illegible] الإسلامية

فهو يتحدث عن [illegible] الإفرنجية [illegible] المعارف والآداب التي لا ينكر [illegible] العمران [illegible] حتى [illegible] الأزهر الشريف [illegible]

١ [illegible] محمد عمارة [illegible] ١٩٧٣م

[illegible] الحضارة الأوروبية [illegible] وعلوم حكمية [illegible] لأن [illegible] هذا [illegible] [illegible] على [illegible] في [illegible] [illegible] الطهطاوي الأزهريين إلى [illegible] الأمر [illegible] على [illegible] في [illegible] علومهم الإسلامية [illegible] فلا [illegible]

يقول الطهطاوي [illegible] إن مدار سلوك جادة الرشاد والإصابة منوط بعد ولي الأمر بهذه العصابة - أهل الأزهر - التي ينبغي أن تضيف إلى ما يجب عليها من نشر السنة الشريفة ورفع أعلام الشريعة المنيفة معرفة سائر المعارف البشرية المدنية التي لها مدخل في تقدم الوطنية وإن هذه العلوم الحكمية [illegible] الأجانب إلى لغاتهم من الكتب العربية ولم تزل كتبها إلى الآن في خزائن ملوك الإسلام كالذخيرة.

وقد سمع الطهطاوي في باريس [illegible] المسيو جومار E.F.Jomard [١٧٧٧ – ١٨٦٢م] - الذي أشرف على بعثة مصر العلمية في فرنسا [illegible] في [illegible] مصر [illegible] للطلاب [illegible] سيكون [illegible] في تحديث الشرق [illegible]

المرجع السابق [illegible] ص ٣٣ - ٣٤

له طرب القلوب التي تحب الفخر وتدين بالاخلاص للوطن امامكم مناهل العرفان فاغترفوا منها بكلتا يديكم وبذلك ترون الى وطنكم منافع الشرائع والقوانين التي رقي بها عدة قرون في الازهار الخاصة فمصر التي تقولون عنها ستسترد بكم خصوصيتها الاصلية وفرنسا التي تعلمكم وتهذبكم تفي بما عليها من الدين الذي للشرق على الغرب كله

سمع الطهطاوي هذا القول وعاد فكان مع جملة من أبناء النهضة المجددين أبناء الوطن والناعتين لمجده، والمستردين لخواصه الاصلية على حد تعبير «جومار»

ولهذا وجدنا الطهطاوي في ذات الوقت الذي يدعو فيه الى هذا «التمدن المدني» يتحفظ كل التحفظ على بعض مميزات الحضارية في حضارة الغرب فيحذر من تقليد ... بين العقل وبين النقل بين التوحيد الاسلامية وبين الطبيعة العلمية والفلسفية لكن عقلاء الحضارة الاوربية واتجاه الطبيعي فيه لا يعترف هنا الا بالامور التي هي ... حضارتنا ومرجعها ومن هنا كان رفض الطهطاوي لبعض «مقسمات الحضارة الاوربية» وهو يحكي كيف أن للاوربيين في العلوم الفلسفية «حشوات ضلالية مخالفة لسائر الكتب السماوية» ويقيمون عليها أدلة يعسر على الانسان ردها، وكتب الفلسفة بأسرها محشوة بكثير من هذه البدع، وليس لنا ان نعتمد على ما

(١) عمر طوسون [البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الأول وسعيد] ص ٣٣، ٣٤ – طبعة الاسكندرية سنة ١٩٣٤م

[illegible]

[illegible]

* * *

لكن

لابد من الاعتراف بأن الأمور لم يكتمل سيرها في هذا الاتجاه

فالمؤسسة الدينية [illegible] تعترف عن مقاييس
الإسلامية [illegible] قد تخلصت بفكرتها [illegible] سلطتها ورفضت
[illegible] والدولة الحديثة قد [illegible] فرص الإصلاح
والتطور داخل صحن الأزهر وحصنه [illegible] وسائلهم
وقدمت [illegible] الذي [illegible] عن [illegible]
والخطوط [illegible] التي [illegible] الأسلاف ورثته

والغرب قد رمى بكل ثقله في بث إشعاعاته الفكرية [illegible]
[illegible] قيمة و ثقافة وحضارة على مؤسسات الفكر

[illegible]

ويعقد واتحسم في بلادنا بل لقد تحالف العثمانيون مع
الغرب ضد طموح نهضتنا إلى استكمال مقومات استقلالها
الحضاري عندما استعانوا بالاستعمار على ضرب استقلال
المشروع المصري — العربي — عند سنة ١٨٤٠م.

ثم كانت منعطفات حاسمة ومراحل تحولات أساسية
احتاجت فيها الدولة — كي تستجيب لضرورات الواقع
الجديد — إلى تجديد الفكر الإسلامي بالاجتهاد وإلى تطوير
الفقه — فقه المعاملات — لتتمكن المؤسسة القانونية من
الفصل في المعاملات التي استجدت كما حدث في عصر
الخديوي إسماعيل (١٢٨٠ - ١٢٩٦هـ = ١٨٦٣ - ١٨٧٩م)
ويومها جمد الأزهر — المؤسسة الدينية — عند ما استجابوا لرغبة
الدولة — من فقه الفروع مما لا يحل ولا يحرر فكان أن
لجأت الدولة — إلى القوانين الوضعية الغربية فاستوردتها
الأمر الذي أفقد مؤسستنا القانونية استقلالها وأفقد حضارتنا
شرطا من شروط الاستقلال وكان ذلك تمهيدا لتسرب التبعية في
هذه النهضة نحو التغريب وبعدها عن الوفاء بحق
متطلبات الاستقلال الحضاري الحق لقد تم تكوين المحاكم
المختلطة ثغرة في استقلالنا التشريعي قبل
الاحتلال الإنجليزي وعلى يد كرومر في سنة ١٨٨٣م.

إن المفكر السلفي ابن قيم الجوزية [٦٩١ - ٧٥١هـ ١٢٩٢ -
١٣٥٠م] يحكي لنا عن عصره المملوكي موقفا مماثلا
فيصور في كتابه [إعلام الموقعين] كيف أدى جمود الفقهاء

على الشريعة الإسلامية بالموت والدعوة إلى التشريع للناس وفق الهوى والشهوات؟

وقد تكرر هذا المشهد في عصر الخديوي إسماعيل، وظل يتكرر كلما تحضر «هي الذكر» من علماء الشرع بالجمود، فعاشوا خارج العصر على حين أخذ الغرب الاستعماري يسرع في تقديم بضاعته الحاضرة ومنسقة للحكام المتغربين ويبذل قصارى جهده لتكون هذه البضاعة هي البديل الذي يوضع في التطبيق.

* * *

هكذا سارت الأمور حتى دخلت أمتنا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

- الحركات الإصلاحية الدينية السلفية منعتها سنوات بداوة البيئة من أن تولي المدني ما يجعله النموذج الصالح للتعميم والوافي باحتياجات النهضة الكفيلة بمواجهة الثروة الأوروبية المسلحة بحضارتها الحديثة، وأيضا الوعي باحتياجات أمة تريد تعويض التخلف وتحصين وضعها لمجابهة ما تأتي به المستقبل من تحديات.

- ونهضة محمد علي -وخاصة بعد حصارها وفرض القيود على استقلالها- قد حرمتها العلمانية الرسمية والجمود الأزهري من فرصة تأسيس تحديثها على أسس إسلامية خالصة فتقدم الغرب من هذه الثغرة فمضى «بمعنى» هذه النهضة باتجاه «المغرب»، فلم يكن الاستقلال الحضاري لدى ...

[١] أعلام عصر ... ص ٢٠٢، ٢١٣ طبعة بيروت سنة ١٩٦٣

فكان أن ظلت الأمة تبحث عن البديل الفكري - الذي يجمع في أطروحته كل عناصر النهضة الحضارية ويجمع شروط استقلالها وعندما تبلورت هذه البدائل في دعوة [الجامعة الإسلامية] وحركتها على يد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، حاربه دعاة «التغريب»، وأنصار «الجمود» معًا

وحالوا بين فكرة هذه النهضة وبين أن تنتشر أو توضع في التطبيق[1]

لكن ذلك لم يمنع من أن يكون هذا التيار الإسلامي العقلاني - المستنير - هو أكثر تيارات التجديد التي عرفتها أمتنا الحديثة استجابة لمتطلبات الاستقلال الحضاري لأمتنا العربية الإسلامية



تيار الجامعة الإسلامية والاستقلال الحضارى

أعلام هذا التيار:

أعلام تيار [الجامعة الإسلامية] كثيرون، ومشاهيرهم من المشتغلين بالفكر، قد غطى أنحاء الوطن العربي وعالم الإسلام، وقد يتميز واحد منهم بمساحة فكرية عن آخر، وقد يتمايز بعضهم في الأولويات أو صفة المستجدات أو أن يكون تركيز بعضهم على قضايا بعينها دون بعضها الأخرى، لكنهم في مجموعهم قد مثلوا الفلسفة العامة التي ميزت هذا التيار المتحدي عن عدد من التيارات.

■ وأول أعلام هذا التيار هو جمال الدين الأفغاني [١٢٥٤ - ١٣١٤هـ = ١٨٣٨ - ١٨٩٣م]. عربي النسب ... ولد ونشأ في بلاد الأفغان، فنسبه يرجع إلى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وعربي الثقافة، وفكر منذ نشأته الأولى عقل أن يتعلم العربية عشرة من عمره ... فدرس علوم العربية والتاريخ وعلوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه وأصول وكلام وتصوف، والعلوم العقلية من منطق وحكمة عملية سياسية ومنزلية تهذيبية، وحكمة نظرية طبيعية وإلهية

والعلوم الرياضية من حساب وهندسة وجبر وهيئة فلك
ونظريات طب وتشريح.

وهو سني المذهب في نشأته، مع توثق علاقته الشخصية والفكرية بعلماء الشيعة ومفكريها ومراكزها بالعراق، منذ صدر شبابه. ثم تبلورت دعوته للتجديد واستطاعت كل عقبة في وجه سلفية، حيث أصبح فوق المذاهب التي عرفها المسلمين لأن سلفيته هي التي تسبق اجتهاده، وعقلانيته ترفض التقليد في سر خلافته التي تجدد روح العصر، وعصريته ترفض عقيدة تمام ما يريد تحقيقه لأمته من نهضة وإصلاح.

وكان عهده بالاستعمار مبكرًا، ولم يكن عداؤه فكريًا ونظريًا فقط، بل انخرط منذ شبابه في العمل الوطني الأفغاني لدى الأمير محمد أعظم خان ضد الغزو الإنجليزي لأفغانستان، ووصل جمال الدين في هذا النشاط الوطني إلى منصب الوزير الأول في البلاد. وقاد معارك حربية ضد المتعاونين مع الإنجليز ومن يرعاهم الأمير شير علي فقد انتصر بمعونة الإنجليز فهاجر سنة ١٢٨٥هـ - ١٨٦٨م.

فلما ضيق عليه الإنجليز بدأ رحلته في الوطن العربي، فوصل إلى مصر سنة ١٢٨٦هـ - ١٨٦٩م ثم إلى الآستانة، ثم رجع إلى مصر فأقام بها في الفترة ما بين ١٢٨٨ - ١٢٩٦هـ / ١٨٧١ - ١٨٧٩م، كانت أخصب سنوات حياته الفكرية والنضالية، حيث تبلورت فيها دعوته ومذهبه في سلطة والثورة والتجديد.

فعلمهم أسس على تلاميذه الأصلي ومتعلقات على شرح نو
كتب قديمة في الفلسفة الإسلامية. وكان عهد مصر قد شهد بعض
بعد النوى من أبواب الفكر منذ أن ولت الدولة الفاطمية وحتى
دور معسكر تلك الصوفية وخوانقهم والمدارس الأشعرية
محل [دار الحكمة] و[مجالس الدعاة] ومنهاج [الأزهر] العقلاني.

وفيه نشأ ورعى تيار الصحافة غير الحكومية، وكانت من
قبله حكومية في الأساس، فكانت صحف [مصر] التي رأسها
أديب إسحاق [١٢٧٢ – ١٣٠٢هـ = ١٨٥٦ – ١٨٨٥م]
و[التجارة] التي رأسها سليم نقاش، طليعة الصحافة الشعبية في
البلاد. وكان الأفغاني يكتب فيها بتوقيع «مظهر بن وضاح»
كما كان يملي على تلاميذه مقالات ينشرونها بأسمائهم حتى
نشأت من حوله كوكبة من الكتاب الشبان جددت أساليب
العربية في الإنشاء، وأخرجت منها فن «المقال» الحديث.

وفيها تبلور من حوله التيار الشعبي في السياسة، ومن قبله
كان جمهور الدولة المصرية هو المصدر لتوجيه السياسة. وفيه
كانت التربة الخصبة التي استقبلت بذور أفكاره [illegible]
حيث نبتت ونمت وأينعت، وآتت من الثمار ما لم تؤته في بلد آخر
أقام فيه هذا الفيلسوف العظيم.

وفيه أنشأ [الحزب الوطني الحر] الذي ضم تلاميذه وأنصار
دعوته، وهو الحزب الذي قاد الثورة العرابية. وبعد هزيمتها هاجر
نفر من أبنائه لينشئ [الحزب الوطني] الذي قاده مصطفى كامل
[١٢٩١ – ١٣٢٦هـ = ١٨٧٤ – ١٩٠٨م] وبقي آخر منهم ليصنع

إلى جمعية [العروة الوثقى] السرية التي كونها الأفغاني وأصدر مجلتها في باريس.

وعندما نفت السلطات ... من مصر سنة ... الأفغاني بعد ... موقعه [١٢٩٦هـ ١٨٧٩م] ذهب إلى الهند وهناك تابع ... الحركة حتى بعد هزيمة العرابيين فسافر إلى باريس [١٣٠٠هـ ١٨٨٣م] ثم إلى لندن ثم عاد إلى باريس ليصدر مجلة [العروة الوثقى] ومعه الشيخ محمد عبده ... ثم ذهب إلى ... العربية ... فدعوته ... [١٣٠٧هـ ١٨٩٠م] ... [١٣٠٨هـ ١٨٩١م] ...

وفي كل هذه المواطن لم تعرف الرحلة حركته حركة سوى حركة ... على ... والدعوة إلى ... ولم تجد ... أسرة سوى الأنصار والتلاميذ الذين ... في ... الاستعمار ... الذي ... الجهد ... العرب ... الإسلام ... حتى ... السلطان عبد الحميد [١٢٥٨ - ١٣٣٦هـ ١٨٤٢ - ١٩١٨م] في ... [١٣١٠هـ ١٨٩٢م] ... في ... حتى ... روحه إلى ... [١٣١٤هـ ١٨٩٧م]

■ ومن أعلام هذا ... الإمام محمد عبده [١٢٦٥ - ١٣٢٣هـ ١٨٤٩ - ١٩٠٥م] الذي ... على الأفغاني ...

(١) [illegible]

[illegible] في التركيز على الإصلاح [illegible]
في الفكر [illegible]
وفكره [illegible]
[illegible] ١٢٦١ - ١٣٦٣هـ / [illegible] - ١٩٤٤م
[illegible]
[illegible]

[illegible] الأزهر [illegible] محمد [illegible]
[illegible]
[illegible] في ١٢٨٨هـ /
١٨٧١م [illegible]
[illegible] التصوف الفلسفي [illegible]
[illegible]

وفي [illegible]
[illegible] الدعوة إلى التجديد [illegible]
[illegible] العربية [illegible]
[illegible] [العروة الوثقى] [illegible]
[illegible] الشخصية [illegible]
[illegible] إلى مصر [illegible] العصر العباسي [illegible]
إصلاح مؤسسات [illegible] الأزهر والأوقاف [illegible]
[illegible] على التجديد [illegible]
[illegible] اللغة العربية [illegible]
[illegible] في العديد من [illegible]
عباس حلمي [illegible] الكثير من مشروعاته الإصلاحية [illegible]

جمود أغلب شيوخ الأزهر قد ضيع جهود الإصلاحية من نوع ما أراد لها في إصلاح الأزهر، حتى لقد مات كمدًا بسبب هذا الإخفاق [١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م][1]

■ وفي المشرق العربي كان عبد الرحمن الكواكبي [١٢٧٠ - ١٣٢٠هـ = ١٨٥٤ - ١٩٠٢م] من أبرز من مثلت أفكاره القسمات الفكرية لهذا التيار. وهي الأفكار التي خلفها لنا في كتابيه [أم القرى] و[طبائع الاستبداد].

ولقد ولد الكواكبي في حلب لأسرة كانت عليها نقابة الأشراف قبل أن يغتصبها منها الشيخ أبو الهدى الصيادي [١٢٦٦ - ١٣٢٧هـ = ١٨٤٩ - ١٩٠٩م]

وفي [١٢٩٥هـ = ١٨٧٨م] أصدر الكواكبي صحيفة [الشهباء] أول صحيفة عربية تصدر في ولاية حلب. فلم يحتملها العثمانيون أكثر من خمسة عشر عددًا فأصدر في العام التالي جريدة [الاعتدال]. ولقد وصلت نضاله إلى حرمان الوظيف وإفلاس التجارة وتعريض حياته للخطر. ثم قاده إلى السجن [١٣٠٣هـ = ١٨٨٦م] عندما اضطر العثمانيون إلى الإفراج عنه تحت ضغط جماهير الولاية أطلقوا سراحه ثم عادوا لإلقاء القبض عليه ولفقوا له الاتهام بالاتصال بدولة أجنبية وحكموا بإعدامه. ولكن الجماهير عادت فضغطت فأجبرت العثمانيين على إعادة محاكمته خارج الولاية فعرضت القضية على محكمة بيروت التي حكمت ببراءته.

---

(١) انظر ما كتبناه عن هذا في مقدمة الأعمال الكاملة ... طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م.

وفي تلك الأثناء كتب الكواكبي عن نشأة [جمعية أم القرى] وهي الجمعية التي عقدت مؤتمرها السري بمكة والتي أصبحت مداولات مؤتمرها هذا أساس كتابه [أم القرى] وفي هذا المؤتمر حصر مشكلات البلاد العربية والإسلامية ومشكلات الأقليات الإسلامية التي تعيش خارج العالم الإسلامي.

ولما ضاقت حلب بالكواكبي [illegible] قرر الهجرة منها إلى مصر فوصلها سنة [١٣١٦هـ - ١٨٩٩م] وفي مصر أفاد من المناقضات التي كانت بين حكامها ودولة الخلافة العثمانية فنشر كتابيه فصولاً في الصحف، ثم جمع الفصول فصدرت في الكتابين وبعدها قام برحلة في بلاد المشرق العربي والجزيرة العربية، وشرقي أفريقيا.

وبعد نحو أربع سنوات في مصر توجه إلى ربه بمؤامرة دس فيها السم له جاسوس من جواسيس السلطان عبد الحميد فكان استشهاده [١٣٢٠هـ - ١٩٠٢م].

■ **أما في المغرب العربي** فإن الشيخ عبد الحميد بن باديس [١٣٠٥ - ١٣٥٩هـ - ١٨٨٧ - ١٩٤٠م] بعد أن أمضى عهد الصبا وشبابه في موطنه قسنطينة بالجزائر وفيها تلقى علوم العربية والإسلام ومن شيوخه في تلك المرحلة الشيخ حمدان الونيسي الذي أخذ عليه عهداً[1] ألا يعمل للحكومة الاستعمارية فالتزم العهد، وصار يأخذه على تلامذته فيما بعد.

(١) انظر [illegible] سنة [illegible]م

وفي سن سبعة عشر من عمره [١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م] رحل إلى جامع الزيتونة بتونس حيث تلقى ما لم تكن تستطيع أن تدرسه الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي الذي كان يحارب العربية والإسلام، لسحق الشخصية الجزائرية كي يسحقها ويجعل منهم فرنسيين مسلمين، ومن ثم جعلهم امتداد فرنسا عبر البحر المتوسط في القارة الأفريقية.

وفي [١٣٣٠هـ - ١٩١٢م] سافر لأداء الحج إلى الحجاز، وهناك التقى بعدد من الشيوخ الجزائريين الذين هاجروا وجاوروا بمكة والمدينة فعرض عليه بعضهم أن يجاور، فنصحه أحد الشيوخ الجزائريين بالعودة، ولكنه كان قد شرع يفكر في مقاومة الاستعمار الفرنسي بالجزائر، فرفض الهجرة، وقال: «نحن لا نهاجر». وقبل عودته إلى الجزائر اتفق مع الشيخ البشير الإبراهيمي على خطة لتنفيذ البرنامج الذي لخصته كلماته هذه. وكانت الخطة هي إعداد جيل من الرجال الذين يوجهون محاولة لسحق القومية في الجزائر ويعيدون الجزائر إلى العروبة والإسلام، ولغرس رجال يملكون وضوحًا في الهدف وفكرة صحيحة يؤمنون بها، حتى وإن كانوا ذوي عدد قليل ويعرفون حدود طاقاتهم، لكي تنتهي عند تسليم الأمانة لجيل ثانٍ يكمل الثورة ويستخلص الاستقلال من المستعمرين.

وقد مكث ابن باديس سنة عشر عامًا بعد هذا اللقاء ... لا أوقف كتب وأنشر، ربما صحبه الرجال ... بجامع الجامع ويفسر القرآن ويعلم العربية للأطفال ويخوض غمرة ...

والعدل وتحقيق العدل. واحتجبت ... عن [١٣٣١هـ - ١٩١٣م] حتى [١٣٣٦هـ - ١٩١٨م] ... هؤلاء الرجال.

وعندما ... فرنسا ... الاستعمارية بمناسبة مرور قرن على احتلال الجزائر [١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م] ... عن مشروع ... منذ [١٣٣٠هـ - ١٩١٢م] ... [جمعية العلماء المسلمين الجزائريين] في [ذي الحجة ١٣٤٩هـ - ... سنة ١٩٣٠م] ... لعودة الجزائر إلى شخصيتها العربية الإسلامية وتمهيد الطريق لحمل الثورة المسلحة على الاستعمار.

وكانت الصحف ... الاستعمارية بالجزائر ... منذ سنة [١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م] وتعرض ... [١٣٤٠هـ - ١٩٢١م]

وفي [١٣٤٣هـ - ١٩٢٥م] ... صحفي ... تحرير صحيفة [المنتقد] ... [الشهاب] سنة ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م وكان شعارها: الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء ... الاستعمار ... صحيفة [الشهاب] ... كما ... صحف أخرى ... [الشريعة] و[السنة المحمدية] و[الصراط]

وظل ... في [ربيع الأول سنة ١٣٥٩هـ - ... سنة ١٩٤٠م] ... الذي عاد إلى حصن العروبة والإسلام ... الثورة

الصحيفة التي تحارب ضد فرنسا [١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م] وحتى بداية [illegible] استقلال [illegible] الجزائري العربي المسلم سنة [١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م] [illegible] التي [illegible] نجاهر بحب حرس الإسلام والعربية والقومية في هذا الوطن [illegible] الإسلام والعربية والقومية [illegible] [illegible] [الجامعة الإسلامية] [illegible] في [illegible] العربي على الإطلاق

هذا من أبرز أعلام هذا التيار

والمناخ الذي تطور فيه

في مصر أكبر المجتمعات العربية الإسلامية [illegible] [الجامعة الإسلامية] [illegible] الأفغاني [illegible] البداوة التي [illegible] في [illegible] الإسلامي [illegible] الإسلامية [illegible] إلى [illegible] طريق [illegible]

لقد [illegible]

[1] انظر الفصل [illegible]

للمجتمع حتى ظهور هذا التيار في سبعينيات القرن التاسع
عشر وهو تيار تميز فقط عن «تيار التجديد» بل تجاوزه
موقف المعارضة في الكثير من الأحيان. ولذلك فإن هذا التيار
قد برز من المغرب على قاعدة تجربة النهضة المصرية
خاصة على عهد الخديو إسماعيل [١٢٧٩ - ١٢٩٦هـ = ١٨٦٣ -
١٨٧٩م] بحكم إسلاميته وعقلانيته، ثم هو بحكم موقفه
التجديدي قد رفض جمود المؤسسات الدينية التقليدية تلك
التي وقفت عند فكرية العصر المملوكي العثماني، وأسهمت
بسلبيتها تجاه النهضة الحديثة في استسلام الشرق للغرب
كما أن من فكر هذا التيار بدأت «الثورة» المميزة بخصوصيتها
العربية الإسلامية عندما طرح بصورة متكاملة المشروع
الحضاري لمستقبل الأمة العربية الإسلامية

لقد تجسد في تيار الجامعة الإسلامية بحث هذه الأمة عن
ذاتها وسعيها للنجاة من خطر المد الاستعماري بمسخ
«باستقدام» الحضاري الغربي والمستغربين على غروب
«بالتخلف» المملوكي العثماني وسعيها للنجاة كذلك من
«التخلف» المملوكي العثماني الذي تحول إلى قيد يعوق
الأمة عن التصدي لعاصفة الاستعمار والتغريب

ولقد تحول بحث أمتنا عن ذاتها في فكر هذا التيار إلى دعوة
للتجديد الذاتي في الدين والدنيا تنهض فيها العقل بدور المصباح
الذي ينير الطريق، طريق الدنيا وأيضا طريق الدين، وصولا إلى
صورة حضارية مستقلة تصنع تمدنا إسلاميا متميزا، وتكون الطور
العصري لحضارتنا التي ازدهرت في حقبة سابقة من تاريخ

[illegible]

[illegible]

فهذا سبيل [illegible] الإصلاح في المسلمين لا مندوحة عنها [illegible]
[illegible] من طرق [illegible] وبحكمة [illegible] عن [illegible]
[illegible]
[illegible] من عصابة [illegible] الدين [illegible] الأخلاق
وصلاح الأعمال وحمل النفوس على [illegible]
وأهله [illegible] لديهم، والعناء في إرجاعهم إليه
[illegible] لعدول [illegible]
[illegible] الإمام محمد عبده

[illegible]

إن أهل السنة لا يعني [illegible] بعد [illegible]
وفي [illegible] [illegible] هذا [illegible] صحيفة [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] فكرهم [illegible] هذا الفكر
من [illegible] [illegible] الأمة [illegible] [illegible]
كما [illegible] لأعداء هذه الأمة [illegible] [illegible]
بالتحدي [illegible] الأمة [illegible] [illegible]

[illegible] كون الإسلام هو أساس النهضة [illegible] [illegible]
يعني [illegible] ما [illegible] هذا الدين [illegible] [illegible]
[illegible] كل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
هذا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
أبوابها [illegible] العصر على [illegible] هذه [illegible]
وعقائد [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] الأمة [illegible]
و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
«الإسلام الدين» [illegible] «السلفية في الدين» [illegible] في
فكر [illegible] «الجامعة الإسلامية» المستقبلية والاستنارة والتفتح
في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
لكلمة الإسلام محمد عبده [illegible] [illegible] الله [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] قد [illegible]
[illegible] [illegible] في [illegible] وما [illegible] [illegible]
الآخرون في [illegible] [illegible] وهذا [illegible]
[illegible] الأوربيين [illegible]

(١) المصدر [illegible]

ذلك أن للحضارة العربية الإسلامية موقفاً أصيلاً وقديماً يميز بين ما هو دخيل على الحضارة والقسمات التي تتميز بها هذه الحضارة وبين ما هو إنساني عام من الأدوات التي تصلح سبيلاً لتصور الدنيا وتقدمها وللاستدلال والنظر في الموجودات. فالخصوصية والتميز لا تعني الانغلاق وسد المنافذ والأبواب دون التفاعل مع حضارات الآخرين. وقد عرض أبو الوليد بن رشد [٥٢٠ - ٥٩٥هـ / ١١٢٦ - ١١٩٨م] لهذه القضية فقال: إنه يجب علينا أن نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا في ذلك.

وسواء أكان ذلك الغير مشاركاً لنا أم غير مشارك في الملة، فإن الآلة التي تصح بها التذكية لا يعتبر في صحة التذكية بها كونها آلة لمشارك لنا في الملة أو غير مشارك إذا كانت فيها شروط الصحة، وأعني بغير المشارك من نظر في هذه الأشياء من القدماء قبل ملة الإسلام (1).

لكن الشرط الذي لابد من تحقيقه حتى ينهض الإسلام بهذا الدور الحضاري والتجديدي في تحديد «دنيا» الأمة هو أن تتحرر هذه الدنيا فتنفض عن هذا الدين المحدود عنه البدع والخرافات والأضاليل التي حجبته غريبة؛ لأنها عقدت مقارنة بينه وبين حقيقته وجوهره كما تلقاه نبيه، عليه الصلاة والسلام عن الله سبحانه وتعالى فلابد ولا من حكماء لا يبالون بغوغاء العلماء المرائين

(1) ابن رشد [فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال] ص ٢٦. دراسة وتحقيق د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٧٢م. والتذكية هي الذبح.

الأغبياء والرؤساء القساة الجهلاء يجدون النظر في الدين نظر من لا يحمل بغير الحق تصريح، ولذلك يعدون النواقص المعطلة في الدين ويحسبونه من شروط الصحة مما نظر عائد على كل دين تتقادم عهده فيحتاج إلى مجددين يرجعون به إلى أصله المبين" كما يقول عبد الرحمن الكواكبي (١).

فبالنسبة للعلاقة بين الدين [illegible] دولة في تحديد الجوانب التي لا [illegible] من الاستفادة والاستعارة المستقبلية المنفتحة على مختلف التيارات الحضارية [illegible] لرأس المصلح [illegible] بين الدين و [illegible] المتغيرات [illegible]

الموقف الوسطي للمنار

وبعد كل ما أصبح [illegible] [الجامعة الإسلامية] تمثل الموقف الثالث والوسطي [illegible] الجمهور [illegible] وقدرته في ذلك للترويج على [illegible] [illegible] بالمؤسسات العريقة [illegible] [illegible] الفكر عند [illegible] العصر العثماني [illegible] في [illegible] وعن يسارهم دعاة التغريب الذين بهرتهم حضارة [illegible] وأدهم [illegible] واستهوا [illegible] من الحضارة [illegible] للإسلام وتراثه من الحضور والإمام محمد عبده يحكي كيف نشر تيار [الجامعة الإسلامية] [illegible] الموقف الوسطي [illegible] فيقول وهو يترجم لنشأته [illegible] ومذهبه [illegible] كيف نشأ كل واحد من الجمهور الأعظم من الطبقة الوسطى من

---

(١) راجع الكواكبي [illegible] ص ١١٣ [illegible] ١٩٩٦

سكن مصر ورحل فيمن فيه يرحلون، ثم لما انبث بعد قطعة من الزمن أن سحب الاستعمار على ما يملكون وتوقفت في تلك سبيل مما لا يعرفون فعثرت على ما لم يكونوا يعثرون عليه ونادين بأحسن ما وجدت ودعوت إليه، وارتفع صوتي بالدعوة إلى تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى، واعتباره من ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه، وتقلل من خلطه وخبطه، لتتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الإنساني، وأنه على هذا الوجه يعد صديقًا للعلم، باعثًا على البحث في أسرار الكون، داعيًا إلى احترام الحقائق الثابتة، مطالبًا بالتعويل عليها في أدب النفس وإصلاح العمل. كل هذا أعده أمرًا واحدًا.

وقد خالفت في الدعوة إليه رأي الفئتين العظيمتين اللتين يتركب منهما جسم الأمة:

- طلاب علوم الدين ومن على شاكلتهم.
- وطلاب فنون هذا العصر ومن هو في ناحيتهم.

ثم يتحدث الإمام محمد عبده عن موقفه في هذا الشأن الذي كان لا يعنيني رأس الحكومة ... معه أنني لم أكن الإسناد نعيمه ولا الرئيس المطاع غير أنني كنت روح الدعوة وهي لا تزال ... في كثير ممن ذكرت فيه.

[... الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، ج ٢، ص ٣١١ - ٣١٢

فنحن هنا بإزاء موقف [illegible] وموقع [illegible] وبين ذلك
بتوسطيين في [illegible] عند [illegible]

[illegible] السلطة الدينية وإلى [illegible]
على طريقة سلف الأمة في فهم [illegible] في كتب
[illegible] لا تنحصر في هذا الموقف مع
[illegible] التي وقفت عند النص [illegible]
[illegible] موقف عمرو [illegible] لم تتعاطف مع
التصوف والموقف [illegible]
التي ينتقد صراحة هذا اللون من السلفية المتصوفة [illegible] ويرى
أن أصحابها كانوا أصحاب عطشا فقط وخرج [illegible] من المتصوفين
منهم [illegible] أكثر من الإبداع [illegible] عن الدين أكثر مما أضيف
إليه. وليس هذا إلا [illegible] وجوب الأخذ بما [illegible] من لفظ
[illegible] ما تقتضيه الأصول التي قد
عليها الدين [illegible]
يكونوا لنعم [illegible] ولا [illegible].

وعلى حين [illegible] السلطة [illegible] موقف
[illegible] من [illegible] الفكر [illegible] على موقفها من
[illegible] الإسلامية [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] ص ٣٦

[illegible]

[illegible] الله [illegible]

[illegible]

[[illegible] وعلم الكلام [illegible] [الجامعة الإسلامية] [illegible]

[illegible] جميع [illegible]

[illegible] الكمالات العقلية والخلقية [illegible]

[illegible]

[illegible]

[الجامعة الإسلامية] لم [illegible]

[illegible] إلى [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] لا يقبل [illegible] التحريف [illegible]

[illegible] في الأكوان طولها وعرضها [illegible]

[illegible] دون تغيير [illegible] الله [illegible] في كتابه [illegible]

والحق [illegible]

[illegible] وصدق [illegible] كتب الإسلام [illegible] جوهر [illegible]

تركت كتبهم تراثاً للأثريين [illegible]

حتى أصبحت الآن [illegible] باسم [illegible]

والقرآن [illegible] وهو وحده المعجز [illegible] إلى

البشر [illegible] فهو معجزة [illegible] العقل وعرفه

[illegible] فيها [illegible] النظر في [illegible]

في أثنائها فالإسلام لا يعتمد على شيء سوى [illegible]

والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه [illegible]

بخوارق العادة ولا [illegible] غير [illegible] ولا [illegible]

[illegible] ولا [illegible] حركة فكرية صحيحة [illegible]

[illegible] لا [illegible] عقل [illegible] نفسه [illegible]

[illegible] على الاستدلال بغير عقل [illegible]

[illegible]

[illegible]

وتزكي نفسه [illegible] لله [illegible]

[illegible] الحمد [illegible] لله [illegible]

عاطفته [illegible] في دينه [illegible]

[illegible]

ولقد كانت هذه العقلانية الإسلامية عاملاً من عوامل تميز تيار [الجامعة الإسلامية] لا عن الفلسفة [illegible] الوضعية وحدها بل وعن أهل [illegible] من [illegible] الله [illegible] [illegible] مستلزمة لإنكار [illegible] على [illegible] ولإنكار وجود القوانين الكونية والطبيعية الثابتة والحاكمة في الكون والمجتمعات.

كذلك كانت عقلانية هذا التيار متميزة عن عقلانية «التغريب» الذي [illegible] الغرب [illegible] فلسفة [illegible] التي [illegible] أهلها [illegible] بوجود السنن والقوانين الثابتة في الكون والمجتمع يستلزم نفي الألوهية والوحي والرسالات.

فبهذه «العقلانية الإسلامية» جدد تيار [الجامعة الإسلامية] نظرة الإنسان المسلم للكون عندما أقام [illegible] بين «التوحيد» – الألوهية – وبين «الطبائع» [illegible] السنن [illegible] والعلية والارتباط الضروري بين الأسباب والمسببات [illegible] وعندما ميز بين مهام الرسل والوحي وبين [illegible] العقل [illegible] [illegible] أن «حاجة العالم الإنساني إلى الرسل هي حاجة روحية [illegible] لا [illegible] فالمقصد منه إلى الروح [illegible] المحسوسة، والنظر في وجود الكون [illegible] [illegible] للوصول إليه من أسرار العلم [illegible] للرسل [illegible] الأعمال [illegible] فيه [illegible] على الاعتقاد، ولا [illegible] في نفسه أو عرضه [illegible]

و[illegible] [illegible] الأسباب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لأنهم من

علم الطبيعة [أي الفلسفة] وجوانب العلم [illegible] في [illegible]

ليس معرفتهم [illegible] [illegible] ولا يتوقف على [illegible] وإنه [illegible]

ظواهر الطبيعة [illegible] [illegible] الأعصار والأمصار لا [illegible] تصرف

العقل إلى البحث الذي يقوى به الفهم [illegible] لا تغرر بقواعد

الطبيعة ولا [illegible] [illegible] خاص في الحقيقة

فتبدو العقلانية الإسلامية، تميز هذا التيار «السلفي العقلاني – المستنير» عن «سلفية البداوة النصوصية» وعن «أهل الجمود»، وعن «دعاة التغريب».

■ فأنصار «سلفية البداوة النصوصية» [illegible] [illegible] عن [illegible] والتصورات و[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بكونهم وقفوا [illegible] ظواهر النصوص ثم هم لم يكونوا [illegible] [illegible] ولا للمدنية أحباء

■ و«أهل الجمود» لا يعقلون في الأمر [illegible] [illegible] إلا بعض المسائل الفقهية [illegible] [illegible] العقائد على نهج [illegible] عن حقيقتها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الدين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأمر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] إلى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ثم [illegible] [illegible] الرعدة [illegible] كما كتب الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

١ - [illegible] ٣٢ [illegible]

٢ - [illegible]

[illegible] بعد الاستعمار [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible]
العرب [illegible] [illegible] [illegible] واضحة [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] في [illegible] [illegible] التي [illegible] [illegible] على [illegible]
والعنصرية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الاستقلال [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] الأمة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
وبحكم [illegible] [illegible] [illegible]

و[illegible] [illegible] على [illegible] الطريق [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
من [illegible] إلى البلاد العربية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
العلوم [illegible] والآداب [illegible] [illegible] [illegible] وهو في
الحقيقة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] وسير
الاجتماع الانساني [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] أنفسهم من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
ومنهم [illegible] [illegible] وصناع [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] والملابس [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في
[illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible]
من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] المصانع [illegible] [illegible] [illegible] الأمة [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] وسلافهم ولا ضرورة في [illegible] المتوسط

[illegible] [illegible] لأخرى ولا [illegible] في [illegible] موقف الأوربي في

نهايته، بل ليس [illegible] وقت [illegible] على

[illegible] وافر [illegible] وعورها

[illegible]

على الحدود وعي التعريب كلية حتى لأنه لأمة يشوه وجوهها وتخصصاتنا ويفقدها الاستقلال الحضاري

* * *

وقد كانت السلطة السياسية الفعلية في رأس الدولة [الخليفة] للأمراء في مؤسسات الدولة قد كانت في العصر العثماني قابلة للنيل عرضة عن روح الإسلام وهي قدمته الدعوة للسلاطين العثمانيين وقد كان فيهم هؤلاء السلاطين من أهل المحمود ثم جاء دعاة التغريب يرفضون العثمانية العربية التي تفصل الدين عن الدولة على نحو لم تعرفه وكان في عصر نهضتنا وإحيائنا ومؤسسات تيار الجامعة الإسلامية قد سعى إلى تجديد بصره لتستمر الخلافة والدولة مرفوض وحدة السلطتين الدينية والزمنية ويجب رفض فصلهم وإنما تميز بينهما وتقيم علاقة بينهما لا ترقى إلى درجة الوحدة ولا تنتهي إلى حد الانفصال وعالج بتأسيس النهضة على معايير تحرير مؤسسات الدولة من الصبغة الدينية فالدولة إسلامية وكذلك المجتمع والحضارة لكن السلطة في هذه الدولة مدنية لأن مصدر السلطات في المجتمع هو الأمة والحاكم نائب عنها ومسؤول أمامها وخادم لها ومنفذ لفلسفتها العامة والحكومة ناظر شريعته الإلهية في ذات الوقت وليس هذا الحاكم ظلا لله ولا سيفا مسلطا على رقاب عباد الله

فهذه شئون [illegible] دنيوية بشرية وليست إلهية
ومصدرها العقل الإنساني والتجربة الإنسانية المحكومة
بإطار مقاصد الشريعة، وليس مصدرها شريعة الرسل
والأنبياء. وكما يقول الإمام محمد عبده: [illegible] ما تمكن
للإنسان أن يصل إليه بنفسه، لا يطالب الأنبياء ببيانه
ومطالبتهم به جهل بوظيفتهم وبقدرهم. فالمواهب والقوى التي
وهبه الله إياها ليصل بها إلى ذلك. وقد أرشد [illegible]
وحول استقلاله دونه في مسائل [illegible] في واقعة تأبير النخل
إذ قال: «**أنتم أعلم بأمور دنياكم**» [illegible] والإسلام لا يرضى فصلا
عن أن يسعى [illegible] ما كانت عليه أوروبا [illegible] في عصورها
الوسطى والحديثة عندما «كانت السلطة الحقيقية مدنية [illegible]
دينية في نظام واحد لا فصل فيه بين السلطتين. فقد اقتصر
من النظام هو إلى بعض الباباوات وعمالهم من رجال الكنيسة
على الرعية لأنه أصل من أصول الديانة المسيحية عندهم [illegible]
كل [illegible] وحدة السلطة الدينية والمدنية من لا يدين بمبادئهم
فليس في الإسلام ما يسمى عند قوم بالسلطة الدينية بوجه من
الوجوه. ويتساءلون من يرمون الإسلام بأنه يجمع بين السلطتين
في شخص واحد: ليس في الإسلام سلطة دينية سوى سلطة
الموعظة الحسنة والدعوة إلى الخير والتنفير عن الشر وهي
سلطة خولها الله لأدنى المسلمين يقرع بها أنف أعلاهم كما
خولها لأعلاهم يتناول بها من أدناهم. وليس يقولون إن لم يكن

(١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده [illegible]

فالخليفة لدى المسلمين ينبغي ألا يكون معصوماً ولا المفتي

ولا شيخ الإسلام ... فإن الإسلام لم يجعل لهؤلاء أدنى سلطة

على العقائد وتقرير الأحكام وكل سلطة تناولها واحد من هؤلاء

فهي سلطة مدنية ... [illegible] ... أصول الإسلام ... [illegible]

... قلب السلطة الدينية والإتيان عليها من أساسها لقد هدم

الإسلام بناء تلك السلطة ومحا أثرها حتى لم يبق لها عند

الجمهور من أهله اسم ولا رسم ... كما يقول الإمام محمد عبده

... [illegible] ... أهل ... [illegible]

... [illegible] ... الغربيين ... الدين عن ... [illegible]

... الاستعمار بين الدين و ... [illegible] ... على

الإسلام وتقرير ... للسلطة السياسية في المجتمع ...

الأمة مصدر السلطات ...

و ... [illegible] ... الإسلامية ... [illegible]

وقوة [illegible] وقدرة الأمة على الصمود والتحدي [illegible] وقوة أهل [illegible] ووحدة الأنصار في الأحداث [illegible]

[illegible] حديثه عن الشورى [illegible] والحكم [illegible] وحكم الملأ [illegible] حكم [illegible] هو حديث [illegible] ومستقبل [illegible]

■ ففي [illegible] [illegible]

■ وفي [illegible] مشروع حضاري [illegible] [illegible] والدول [illegible]

[illegible] على الإسلام [illegible] [illegible] الأمواج [illegible] العربية الإسلامية [illegible] حضارة في عصرها [illegible]

■ وفي الدولة [illegible] [illegible] تأسيس الحكم على الشورى [illegible] الفكر السياسي الإسلامي [illegible] الاستبداد [illegible]

العروبة المتميزة في المحيط الإسلامي:

[illegible]

(١) [illegible]

(٢) انظر [الأعمال الكاملة لجمال الدين [illegible]] ص [illegible]

الإسلامية] موقف [illegible] العرب [illegible] مصر تقدر العرب فهم في المحيط الإسلامي بل وعقلاء [illegible] في هذا المحيط لا يستطيعون هذا [illegible] منكرين ومستنكرين [illegible] يوحد الفكر [illegible] عند [illegible] الجامعة الإسلامية[1] يتحركون في [illegible] الجامعة [illegible] عند قصد.

لكن يقول [illegible] هذا الرأي لا يعدو [illegible] يكون [illegible] من النظرة السطحية للأمور [illegible] من كل [illegible] الذي [illegible] هؤلاء [illegible] المفكر والمواقف التي [illegible] [الجامعة الإسلامية] حول هذا الموضوع.

[illegible] الأفغاني [illegible] **لقد علمنا، وعلم العقلاء أجمعون أن المسلمين لا يعرفون لهم جنسية [أي قومية] إلا في دينهم واعتقادهم»** [illegible] الرابطة الدينية التي هي أحكم [illegible] التركي بالعربي، والفارسي بالهندي، والمصري بالمغربي، وقامت لهم **مقام الرابطة النسبية** [illegible] الذي يقول [illegible] لا [illegible] تعبير [illegible] عن [illegible] والأمة العربية هي عرب قبل كل دين ومذهب، وهذا الأمر من الوضوح والظهور للعيان بما لا **يحتاج معه إلى دليل أو برهان**[2]

وفي الوقت الذي مارس فيه الأفغاني الدعوة للقيام بنهضة [الجامعة الإسلامية] بعناية السلطان العثماني عبد الحميد

(1) المصدر السابق ص [illegible] ٣١
(2) المصدر السابق ص ٣٣١

[illegible]دي [١٢٥٨ – ١٣٣٦هـ = ١٨٤٢ – ١٩١٨م] يتحدث عن
الإسلام حين تحدث الاستعماري الأوروبي [illegible] [illegible]
الدولة العثمانية [illegible] الاستعمار. وتحول الترك بواسطة
اللغة والحضارة، إلى جزء من الأمة العربية [illegible] عن هذا
[illegible] العثماني [illegible] لقد اتخذ الأتراك من عظيمهم
وهو [illegible] اللسان العربي لسانا للدولة. واسعى لتعريب
الأتراك [illegible] العكس [illegible] فكرت [illegible] العرب [illegible]
سياسة وسقمه من رأي [illegible] تعريب العرب وقد سارت
[illegible] في الاستعراب [illegible] وكان اللسان العربي لغير
المسلمين ولم يزل من أعز الجامعات وأكثر المفاخر أنها لو
تعربت لانتفت من بين [illegible] القومية [illegible] لتدعي للنفور
والانقسام وصاروا أمة عربية [illegible] واحدة

ومحمد عبده وهو المهندس الأعظم لمدرسة التجديد
الإسلامي [illegible] [الجامعة الإسلامية] هو القائل عن
الإسلام [illegible] السلطة والدولة في أمة عربية [illegible] كان
الإسلام عربيا ثم لحقه العلم فصار عربيا بعد أن كان
يونانيا

[illegible] هي [illegible] التي [illegible] [illegible]
[illegible] الأمر [illegible] [illegible] المسلمين لا
[illegible] [illegible] [illegible] مع [illegible] عن [illegible]

١ [illegible]
٢ [illegible] ص ٢١٦

الأمة العربية في عرف هذا الفكر [illegible] الدعوة إلى
العرب الذين يستمدون جزءا من [illegible] الأمة العربية [illegible]
الإسلام ربما عرفت.

إنها ليست متناقضة بل هي الفكر [illegible] الذي [illegible] به تيار [الجامعة الإسلامية] من الخصوصية القومية للعرب كأمة بالمعنى القومي في محيط إسلامي [illegible] تربطه بالإسلام الدين ومن [illegible] والجامعة العقيدية والثقافية التي جمعت كل من [illegible] وفي هذه الموازنة تكمن عبقرية هذا التيار في [illegible]

[illegible] الأمة [illegible] الإسلام وممثلة في [illegible] الإسلامية لكن هذه الشعوب الإسلامية [illegible] وتنتمي [illegible] في العادات والأخلاق وتحت هذه [illegible] الأخلاق [illegible] وتتضمن [illegible]

وهذه [illegible] الإسلامي التي [illegible] الإسلام [illegible] على [illegible] السياسة [illegible] الإسلامية [illegible]

[illegible]

أرجو أن تكون مصدر خصائصهم الفردية والجمعية وحدتهم عبر وكل ذي ملك على ملك يسعى بجهده لجعل الآخر من أتباعه في هيمنة مجتمعه، وتقاعد نفسه

فهي رابطة التضامن الإسلامي والنصرة الإسلامية بين الأمم الإسلامية التي تقوم وحدة كل منها السياسية والثقافية على رابطتها القومية التي تميزها في المحيط الإسلامي الأكبر والأوسع. فهي أمة إسلامية وجنسية "قومية" إسلامية قوامها رابطة الملة والاعتقاد. وفي محيطها تتميز الشعوب والأمم والقوميات بالمعنى القومي الأخص، المؤسس على استمرار القومية المتميزة في إطار المحيط الإسلامي الكبير.

وعند ابن باديس - وهو إمام النضال العربي ضد الجامعة الإسلامية - نجد وضوحا كاملا في تصوير العلاقة بين الأمة العربية المتميزة قوميا وبين الأمم الإسلامية. عن العربية فالعرب أمة في القومية وفي السياسة والوحدة السياسية بمعنى وحدة الدولة أمر [illegible] وحق [illegible] من يستعيدون عليهم بالاستقلال عن مستعمريهم من الأمم التي تجمعها رابطة الملة والاعتقاد الديني دون رابطة العروبة القومية. فإن رابطة الدين تثمر لها وحدة في النواحي الأدبية والاجتماعية دون السياسية. ومن ثم تكون الدولة الواحدة [illegible]. يقول ابن باديس: نحن إذا قلنا العرب، فإننا نعني عرب الأمة الممتدة من المحيط الهندي شرقا إلى المحيط الأطلنطي غربا والتي تنطق

(١) المصدر السابق ص ٢٤٥

بالعروبة ونفتخر بها ونستمد من تاريخها ونحمل مقدارا عظيما من دمها وقد صيرتها العصور في بوتقة التاريخ حتى أصبحت أمة واحدة هذه الأمة تربط بينها [illegible] روابط عدة [illegible] رابطة اللغة ورابطة التاريخ، ورابطة الألم [illegible] فالوحدة القومية والأدبية متحققة بينها لا محالة وبين الشعوب العربية المستقلة يمكن التوحيد السياسي بل ويجب [illegible] المسلمون الذين تتوزعهم عدة قوميات فإن علاقتهم ثابتة بالجنسين

- ناحية سياسية دولية
- وناحية أدبية اجتماعية

فأما الناحية السياسية الدولية فهذه من شأن الشعوب المستقلة وأما الناحية الأدبية الاجتماعية فهي التي يجب أن يهتم بها كل الأمم الإسلامية ولها مهمة جماعة المسلمين وهم أهل الحل والعقد الذين ينظرون في مصالح المسلمين الدينية والأدبية »

هكذا وضحت الرؤية وتحددت العلاقات [illegible] والتصورات

ولقد نرى شعار [الجامعة الإسلامية] من [illegible] [illegible] [illegible] لقومي للأمة العربية في المحيط الإسلامي على أسس عرقية أو عنصرية فالعروبة عند علماء هذا [illegible] مؤسسة على [illegible] [illegible] على اللغة والأقاليم والعادات والتقاليد وعند [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]، ومن هذه الأداة [illegible] [illegible] الأخلاق وعلى [illegible]

(١) [كتاب آثار ابن باديس ج٣ ص ٢٩٨، ٣٢٩، ٤١١ [illegible] [illegible] [illegible]
طالبي طبعة الجزائر سنة ١٩٦٨م

[illegible] علاوة على التأثير [illegible] في أكبر الجوامع التي تجمع [illegible] الأمة العربية أكبر المفاخر حتى تصبح [illegible] للأمة [illegible] القومي [illegible] وحدود [illegible] وحدتها [illegible] المفروضة على وطننا القومي من كل [illegible] فكم رأيت [illegible] ولا [illegible] [illegible] محكومة [illegible] وجمعت من [illegible] سواه، [illegible] ووصلوا في [illegible] إلى [illegible]

والإسلام قد [illegible] العماد اللغوي للعروبة، بحديث رسول الله [illegible] الذي يقول فيه: أيها الناس إن الرب واحد والأب واحد كلكم لآدم وآدم من تراب، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وإنما هي اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي.

وهو لا [illegible] عن تحرير [illegible] في [illegible] الدعوة إلى دور قائد للأمة العربية [illegible]

■ [illegible]

[illegible]

■ والإمام محمد عبده رأى أن عظمة هذه الأمة قد تحققت عندما كان الإسلام عربيا، فلما تعلق الخلفاء العباسيون بالترك والديلم وعولوا عليهم في الخلافة العربية [illegible] الإسلام وانقلب الأعجمي مكان الانحطاط

■ والكواكبي وهو صاحب الحظ الموفور في [illegible] النهضة الإسلامية] بعد عصر [illegible] في تجديد عهد الإسلام والشرق فيقول إن العرب هم الوسيلة الوحيدة لجمع الكلمة الدينية بل الكلمة الشرقية وهم أسبق الأقوام لأن يكونوا مرجعا في الدين وقدوة للمسلمين حيث كان سائر الأمم قد اتبعوا هديهم ابتداء فلا يأبوا أن يتبعوهم أخيرا

■ وابن باديس يرى أن العرب قد رسخوا بهداية [illegible] الأمم التي تدين بالإسلام وبهذه الهداية [illegible] الإسلام [illegible] بين الإسلام والعروبة ونمو الإسلام يعني نمو الأمة العربية [illegible] في رسول الإسلام [illegible] رسول الإنسانية [illegible] القومية العربية والأمة العربية على [illegible] واحد [illegible] القومية العربية [illegible] كما يقول ابن باديس

هكذا [illegible] موقف [illegible] الجامعة الإسلامية من [illegible] العروبة [illegible] العرب [illegible] القومي

(١) [الأعمال الكاملة] الإمام محمد عبده [illegible]
(٢) [الأعمال الكاملة] [illegible]
(٣) [كتاب آثار ابن باديس] [illegible]

العربي بالمحيط الاسلامي [illegible] علاقة [illegible] لم يتم [illegible] عند
العروبة والقصر [illegible] الحملة والاعنف [illegible] كـ [illegible]
[illegible] ولقد [illegible] الاسلامية
[illegible] مع العنصر القومي [illegible] الذي هو [illegible]
[illegible] في [illegible] الاسلامي [illegible]
[illegible] قائد للامة العربية في المحيط
الاسلامي سواء في [illegible] او في النهضة التي تجدد للعرب
والمسلمين [illegible] وتعد [illegible]
تاريخيا عن امم وحضارات اخرى

حضارة جديدة.. ومتميزة:

لقد تحقق تحرر الجماهير الاسلامية [illegible] الاستعماري الاوربي القديم [illegible] ذلك الهدف الذي تجلى في كل موجات الغزو التي تعرض لها وطن العروبة خلال هذا الصراع التاريخي الطويل. فالغرب يريد ان يحرز النصر على الجبهة الحضارية باحتواء العرب حضاريا حتى يحسم دورات هذا الصراع بانتصار حاسم ونهائي. ومن ثم فهو وقد عاد منتشيا هذه المرة بثورته الصناعية وثمارها العديدة من الدول المتفوقة المتنوعة وبالحضارة الاوربية المتألقة والمتفردة على خريطة الكوكب الذي يسكنه الانسان يريد الا تظل حضارته هذه حضارة جالية اوربية ومستوطنة فقط في مستعمراته العربية والاسلامية وذلك كي لا تتكرر قصته القديمة يوم زالت حضارته بزوال الدولة الاستعمارية القديمة الاغريقية والبطلمية

والبريطانية. وسواء كانت السبل هي القهر بالمسخ القومي والسحق للهوية الحضارية، كما حاول الفرنسيون بالجزائر أو بالإغراء كما صنعوا هذا من خلال مدارس التبشير [illegible] وكما صنع الإنجليز في مستعمراتهم فإن الهدف واحد [illegible] وهو أن ينسلخ العرب والمسلمون عن هويتهم الحضارية المتميزة فيصبحون غرباً وبذلك [illegible] الأحوال التي تكون انتصار الغرب في هذا الصراع الحضاري الطويل. وفي [illegible] تكلم السياسي الاستعماري الفرنسي [illegible] عن هذا الصراع الحضاري بين الحضارة الأوروبية التي تستمد [illegible] الآرية المسيحية وبين الحضارة العربية الإسلامية التي [illegible] كما يتحدث عن التحدي الإسلامي [illegible] [illegible] الاستعمارية [illegible] في بعض الأقطار [illegible] الأفريقي تونس [illegible] [illegible] الذي يتحدث عنه [illegible] [illegible] من مكة ومن القاهرة [illegible]

وحتى لا [illegible] الاستعمار هذا الهدف [illegible] كانت دعوة تيار الجامعة الإسلامية إلى تجديد [illegible] العربية والإسلامية، تجديدها وليس التخلي عنها [illegible] في الوقت الذي تصدى فيه هذا التيار [illegible] العصور [illegible] على حركة الأمة [illegible] ويتصدى للغزوة الاستعمارية الأوروبية كاحتلال عسكري [illegible]

[illegible]

تعني كذلك العودة إلى الحضارة العربية، هذه الحضارة العربية الإسلامية التي لم تكن ضرورية التي تعتبرها [illegible] المتغلبة بوجه تعري الاستعمار وتعطف على الاحترام

وقد انطلق [illegible] في دعوته لتحديد هذه الحضارة من عدة منطلقات يجمعها ويربط بعضها ببعض وهي:

١- الجزائر أمة عربية ولحضارتها مزاج متميز وهذه الأمة لها خصائص وتعتبر هذه الحضارة بمثابة [illegible] من المغتصبين [illegible] في مواجهة [illegible] عدا في صف واحد من طرفي الظاهرة [illegible] هذه حرية، ويخلصها من المخاطر والأخطار [illegible] الحروب

٢- أن المزج الحضاري المتميز علاقة عضوية تتكون الأمة ومقومات هذا التكوين وإن كانت الأمة [illegible] عرفت حضارية وتراث [illegible] في [illegible] الإسلامية وصراعاتها الحضارية [illegible] من [illegible] الحضاري الخاص والقدرة بها تحت [illegible] الآخرين

[illegible] ذلك حتى لو أراد [illegible] مخلصين كانوا أم مخادعين[1]. وبعبارات ابن باديس عن الهوية الحضارية أي المتميز للجزائر عن فرنسا: إن هذه الأمة الجزائرية ليست هي فرنسا ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت

٣- أن الدعوة إلى حضارة عربية إسلامية متميزة لا تعني تقديس الماضي ولا العودة إليه كي تعيش في عوالمه ولا الأخذ بجميع أصوله وإنما الذي تعنيه هذه الدعوة هو الأخذ

[illegible] من الأصول التي تعد [illegible]

للشخصية الحضارية العربية الإسلامية وهذه الأصول [illegible] التي

تحمل صلاحية [illegible] المعاصر [illegible]

[illegible]

[illegible] لأنه لم تتجدد في [illegible]

[illegible] على عكس [illegible]

[illegible] في [illegible]

تفتح صفوة مستنيرة بنمط حضاري مغاير منخرط في العمل

لنشدانه وتسويده ومن ثم تدخل الأمة عصر تجديد حضارية

الخاصة، الممثلة لذاتيتها، والمجسدة لخصوصيتها القومية

مسوقة الى ذلك بقيم وافكار ومواريث لها في نفوسها وضميرها

هذه المقدسات [illegible]

ومن اسس حضارة [illegible] واستقلاله علاوة على [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الصبر في مظهر القوة لدفع الكوارث انما يبرز به النفس

بعض الصور التي كان عليها [illegible] السرقين وسلافهم

وهذه الصور [illegible] الناس [illegible] كما يقول محمد عبده هي

التي [illegible] الأمر [illegible] وحركة حقيقة الإصلاح [illegible]

[illegible] فالمسلمين [illegible] [illegible] [illegible] لأنه

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وهو سلوك

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible]

وعنده يكون الأمر [illegible] الأصول التي [illegible] دعوته

في [illegible] لأنه [illegible] [illegible] على [illegible] لأنه

في مشروعها [illegible] النهضوي [illegible] الصحيحة

للإنشاء ومن [illegible] محمد عبده [illegible] الإصلاح في

[illegible] لا [illegible] قال [illegible] من [illegible] والحكمة

العاريه عن صبغه الدين يحوجه الى بناء بناء جديد ليس

عنده من مواده شيء ولا يسهل عليه ان يجد من عماله احدا

وان كان الدين كفيلا بتهذيب الاخلاق وصلاح الاعمال وحمل

النفوس على طلب السعادة من ابوابها ولاهله من الثقة فيه ما

ليس لغيره وهو حاضر لديهم والعناء في ارجاعهم اليه اخف من

حدث ما لا اعداد لهم به فلم العدول عنه الى غيره[2]

وتمسك بالأصول النوعية والروح الحضاري للأمة العربية

الاسلامية لا يعني في رأي اعلام هذا التيار الرجوع بعقلية

١ [الأعمال الكاملة [illegible] ص ٣٢.
٢ [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ٣ ص ٢٢١

في الماضي فقد عبر على سلطة الخصوصية [illegible] كما سمحت [illegible] موقف عمر [illegible] من هذا والنص [illegible] وهذا لا يعني الاكتفاء بالتراث الديني وعلوم الشرع في النهضة والإصلاح [illegible] عن [illegible] الإصلاح [illegible] الإصلاح [illegible] والتجديد الحضاري [illegible] حين [illegible] مع الارتباط والاتصال والاستيعاب [illegible] تحريك الأمة إلى [illegible] الحضاري [illegible] يعني أن التجديد الحضاري هو [illegible] الإصلاح الديني [illegible] محمد عبده [illegible] الله [illegible] لأنهم قد نهضوا والقرآن الكريم في إحدى اليدين [illegible] الأولون وما كشف الآخرون في اليد الأخرى [illegible] وفدا [illegible] ولساروا يزاحمون الأوربيين فيزحمونهم

[illegible] لا تعني [illegible] التنابز [illegible] وتحويل [illegible] إلى [illegible]

٤- ولكن رفضت [illegible] الإسلامية [illegible] فكرية [illegible] [illegible] كما رفض [illegible] [illegible] من [illegible] السلفية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والأهداف التي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حقيقية [illegible] الحضاري [illegible]

[illegible]

ى عمل ما لم يشارك فيه الجميع.

[illegible]

فالاعتراض هنا ليس على تسرع أو إسراف المثقف العربي للتمييز بين الضروري النافع أو الضار عن الملائم، للاستفادة بالأول بالتمثل الطبيعي والصحي مع تجنب الثاني ورفضه. فمن قبل صنع العرب ذلك دون خوف من موقف المستقل وموقع القادر على التمييز عن الفرس والهنود واليونان كي يحققوا الذاتي والجديد والمتميز. وإنما الاعتراض على التقليد المستمر لدى افتقاد أسباب الثقة بالذات والقدرة على التمييز.

فالتمييز الحضاري إذن هو حقيقة واقعة تعود إلى تميز تشكل خصوصية وعن خصوصية، وهذه الخصوصية لا تنفي وجود ما هو عام ومشترك إنساني تتميز به كل الحضارات وتتيح تبادلا على مختلف الحضارات بحيث يكون ما عندها هو خاص وما هو عام. ومن غير الطبيعي وغير المفيد أن تتسم الحضارة العربية في سمات لا تخصها ولا تتميز بها. وبهذا الفهم علينا أن نميز الخصوصية العربية الأولى التي تتعدد كما يقول الأفغاني في الحقيقة تمرينا الشك على نمط فيها على تقليد الصنعة وسر الاجتماع الإنساني. إنه لم يقصدوا هذه الخصوصية الفعالة منها ويتجاوز فائدة. وعن عمارة الأفغاني يقول: يرون أنهم أي غير بلادهم ويستبدلون مصانع من قومهم وهذا حرج لأن الأمة تسود وتهيب ويخشى من شأنها. فلقد علمتنا التجارب أن المقلدين من كل أمة المنتحلين أطوار غيرها يكونون فيها منافذ لتطرق الأعداء إليها

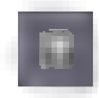
وطلائع جيوش الغاصبين وأرباب الحروب يهدمون بها [illegible]
ويفتحون الأبواب ثم يثبتون أقدامهم

[illegible]

وهذا المسار الحضاري [illegible] لا يعني رفض [illegible] الحضارات ولا [illegible] أمام عدوانية الحضارة الغربية وغزوها الفكري واستعلائها [illegible] لا يعني الانغلاق الرافض لاستلهام مصادر القوة في [illegible] المستقلة والمتميزة لحضارتنا العربية الإسلامية [illegible] برفض التقوقع والعزلة والانغلاق [illegible] حضارية حقيقية من حقائق الواقع واكتفاء حضارة ما بذاتها عن غيرها من الحضارات هو خرافة من الخرافات

على هذا النحو فكر تيار الجامعة الإسلامية [illegible] صاغ معالم مشروع النهضة الحضارية المستقلة [illegible] من [illegible] ويضعه في الممارسة والتطبيق

[illegible] ص ١٢٠ - ١٢١



الموروث .. والوافد

تاريخ القضية

القضية [illegible] هي قضية [illegible]

[illegible] وفي [illegible]

[illegible] هو أمر طبيعي [illegible]

[illegible]

[illegible] هذه القضية [illegible]

[illegible]

«الوالدة»، عندما يكون [illegible]

[illegible]

بينهم [illegible] في [illegible]

وهذه [illegible] العلاقة [illegible]

بالنسبة [illegible]

اليوم كما [illegible]

الأحوال قد [illegible]

حولها أكثر [illegible]

[illegible]

الفكرية في بداية الغزوة الاستعمارية الحديثة للشرق ولوطن العروبة وعالم الإسلام على وجه التحديد. [illegible] هذه القضية من أبرز قضايا المواجهة الفكرية التي جاءت [illegible] في [illegible] هذه الغزوة الاستعمارية الحديثة منذ غزوة بونابرت [١١٦٩ - ١٨٢١م] وحملته على مصر سنة ١١٩٨م [illegible] البعثة العلمية [illegible] ولكن [illegible] مفكر محمد [illegible] الحملة [illegible] مفكري مصر [illegible] العروة [illegible] الصليبية التي [illegible] في العصور الوسطى [٤٨٩ - ٦٩٠هـ / ١٠٩٦ - ١٢٩١م]. فالصليبيون [illegible] لا يمتلكون سوى [illegible] وكما يقول [illegible] العرب الذين عاصروا تلك الغزوة الصليبية - وهو أسامة بن منقذ [٤٨٨ - ٥٨٤هـ = ١٠٩٥ - ١١٨٨م] عن الفرسان الصليبيين هؤلاء [illegible] ليس [illegible] إلا [illegible] الفروسية [illegible] ومتخلفة [illegible] الإسلامي [illegible] الإسلامية [illegible] حين [illegible] الإسلامي هو [illegible]

[illegible] الاحتكاك [illegible] وبين [illegible] تلك [illegible]

ومؤثرات وأسباب النهضة الأوروبية فيما بعد، لأنهم قد تعلموا من
الشرق أشياء هذه الحكمة العتيقة، كما تعلموا من الحكمة
الإسلامي وتعيش بحضارتنا على أرض الأندلس.

أما الغزوة الاستعمارية الحديثة التي تعرض لها وطن
العروبة وعالم الإسلام فلقد تميزت عن الغزوة الصليبية لأنها
جاءت، ليس فقط بالمدفع والبارود والجيش المصنع بتقنية
حديثة، وليس فقط بالشركات الرأسمالية والنهب الاقتصادي
الاستعماري المنظم، وإنما جاءت أيضا بفكرية الحضارة الغربية
فكرية عصر النهضة الأوروبية. هذه الفكرية التي انطلقت وأبدعت
في مختلف مجالات العلوم والفنون. كانت هذه ميزة تميزت بها
هذه الغزوة الحديثة. ومن هنا كانت حملة بونابرت شاملة للقوة
وللفكر معا. وكذلك كان حال كل الحملات الاستعمارية التي
جاءت بعد ذلك التاريخ لتخضع الشرق لهيمنة الاستعمار الحديث.

لقد شهدنا منذ ذلك التاريخ ما سمي بفكرية التغريب وعبر
التغريب والمتغربين انتشار الحضارة الغربية على عكس
الحضارة العربية الإسلامية، قد نهجت نهجا سيئا استعلائيا
وعدوانيا في كل المجتمعات التي غزتها. فنحن نعلم أن العرب
المسلمين عندما فتحوا البلاد التي فتحوها، قد احتضنوا
الموروث الحضاري القديم، فالمواريث التي كانت قد هجرت
وماتت أحيوها، وحلت هذه المواريث ... واستخدموا الصالح
للبقاء من هذه المواريث ... في نسيج الحضارة العربية
الإسلامية الجديدة. أما الحضارة الأوروبية الغازية فلقد مارست

سياسة نسخ ومسخ والتشويه مع الموازين الحضارية للشعوب والبلاد التي فتحتها هذه الغزوات الاستعمارية الغربية. فكما صنعوا مع الهنود الحمر الإبادة وحاولوا أن يصنعوا مع الموازين الحضارية للشعوب الأفريقية وفي آسيا وفي كل البلاد التي غزوها عهد الفكرية التغريبية، أرادوا لهذه الشعوب المستعمرة أن تتحول لا إلى الحضارة الغربية كما زعموا ويزعمون فهم لا يمكنون هذه الشعوب من أن تصبح مثلهم في الحضارة بامتلاك مصادر القوة في الحضارة الغربية - وهي كثيرة وعديدة - وإنما أرادوا أن تتحول هذه الأمم وهذه الشعوب إلى «هامش حضاري» مجرد «هامش حضاري» في موقع «التبعية الحضارية للمركز الأوروبي». وكان الهدف ليس تحضير هذه البلاد ونهضتها، لأن الاستعمار بداهة ليس حريصا على هذا الهدف وهذه الغاية، وإنما كان الهدف هو أن يصبح العقل عندنا تابعا «للمركز الأوروبي» والغربي، لأن هذا هو السبيل الأمثل والأضمن لتأبيد بل وتأبيد الغزوة الاستعمارية والنهب الاستعماري. وهذا هو الضمان الرئيسي كي نتحول إلى «هامش أمني» يحمي من «المركز الأوروبي» والغربي. فكان سعي هذه الغزوة الاستعمارية الحديثة ليس فقط إلى أن نصبح موعدا للأمن الغربي، وليس فقط إلى أن نصبح سوقا وبلدا عاملة رخيصة لاحتكارات الغرب الرأسمالية، وإنما أيضا وحتى اليوم وبعد هذا لا بد من تكبيل هذا العقل في الوطن العربي والإسلامي بقبول التبعية الفكرية لقد وقفوا موقف العداء من «خلافنا الحضاري» لهم واختلاف

الحضاري عليهم وكل ما هو عليها به من حرية في
«الخلاف» و «الاختلاف» فهو ان يختلف خلافهم ويتعدد
بقسميهم فيكون محافظينا في محافظتهم»
و «ليبراليينا» في ليبراليتهم و «تقدميينا» في تقدميتهم
و «شيوعيينا» في شيوعيتهم فلا نخرج عن اطار التبعية
والاحتواء [illegible] بعد كان هذا هو [illegible] [illegible] ان [illegible]
حيال الذي سمحوا به لعقلنا حتى بعد [illegible] اصبحت
للعرب هدفا يسعى اليه المستضعفون وصارت «قدرا» [illegible]
يجري وراءه للنخبة والصفوة لتجعل وطنا قطعة من اوربا
وتجعل هذه الامة اوربية العقل والحياة تفكر كما يفكر
الاوربيون وتلبس كما يلبسون وتفكر كما يفكرون وتصيب كما
يصيبون وتخطئ كما يخطئون وتعيش كما يعيشون

ولقد بلغ بنا من خطر هذه التبعية الفكرية التي فرضت
علينا الى حد [illegible] اصبح فيه كل رجال الفكر في بلادنا
لا يستطيعون ان يؤثروا في الامة [illegible] وفي تحديد [illegible] [illegible]
مثلا تأثير صاحب [illegible] [illegible] في مركز من مراكز الغرب [illegible]
على ذلك مدارس الفكر ومذاهب [illegible] [illegible] [illegible] كتب
عندهم «وجودية» [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عندنا
وجودية» وإن كان عندهم اعتراف [illegible] [illegible] «عبث»
واذا كانت عندهم «بنيوية» فلا بد ان تكون لنا بنيوية وهكذا
نصبح بالفعل رافضين على الابعاد الفكرية الاوربية [illegible]
اعتبار للبديهيات التي تقول ان لكل امة نمطا في التصور وشكل

حضارة عريقة وعينة ورحبة مرجعًا في التطور وإثارة الفكرية الأيديولوجية، لابد أن تطبع بطابع الواقع لدى بعينه لأمة وتتفاعل فيه

كما تقصود الغاء هذا المنطق العربي لنصب التبعية هدف يسعى إليه المستضعفون في الأرض من شعوب الأمم التي تعيش بهيمنة الاستعمار الحديث وذلك كي تتبدد تبعية هذه الشعوب وتترسخ في مختلف الميادين وشتى المجالات.

تيارات ثلاث

أمام هذه النهضة التغريبية الاستعمارية [illegible] حدث
بحدث الفكرية، وكيف استقبل مفكرون ومثقفون هذا الوافد
التغريبي [illegible] تتشكل الصورة على النحو التالي:

كانت لدينا مؤسسات فكرية تقليدية لها سنة [illegible]
من مثل الأزهر والزيتونة والقرويين والطرق الصوفية .. إلخ
وأمام هذه النهضة التغريبية جعلت هذه المؤسسات [illegible]
فانكفأت على ذاتها، وانغلقت على موروثها [illegible]
والموروث الذي هو حصن من مخاطر التغريب.

وللأسف [illegible] على الذات التي انكفأت عليها هذه
المؤسسات التقليدية لم تكن هي الذات الحقيقية [illegible]
الحضارة العربية الإسلامية العقلانية المستنيرة التي [illegible] في
عصر ازدهار هذه الحضارة، وإنما كانت ذاتية فكرية للعصور
الوسطى، عصور التراجع والجمود التي توقف فيها الإبداع [illegible]
والتفاعل الحضاري تحت تسلط المماليك وسلطة [illegible] فتقى

ظل هذا التسلط دليلاً على عقلانية الفكر الإسلامي [illegible] ردة ا
الفكر، وموقف الاحتجاب [illegible] على هذه العصور [illegible]
قاربت السبعة [٦٤٨ – ١٣٤٢هـ = ١٢٥٠ – ١٩٢٤م] [illegible]
تحت الحواشي والمتون التي تصنعت بحقبة ركيكة وغرقت
في المشكلات اللفظية والمحسنات الشكلية التي كونت
الصبغة العامة [illegible] الفكر لهذه العصور.

وقد انعكست هذه الملابسات المعقدة على [illegible] من
خطر [illegible] ورفض [illegible] الأخير [illegible]
العقلاني [illegible] ونحن نقرأ في أدبيات تلك
الفترة كيف أن الشيخ محمد عبده [١٢٦٥ – ١٣٢٣هـ = ١٨٤٩ –
١٩٠٥م] قد ناضل طويلاً من أجل أن تدخل علوم مثل الحساب
والتاريخ والجغرافيا في مناهج الأزهر التعليمية، ولقد
سمى [illegible] [مقوم [illegible]] [illegible]
فقبلوها [illegible] واعتبروا [illegible] هذه ثورة
جامحة [illegible] بين [illegible]
[illegible] الأزهر في عصره [illegible]
بسببها حسرة وكمد.

ونحن نقرأ في أدبيات تلك الفترة كيف أن [illegible] هو
الشيخ عليش [١٢١٧ – ١٢٩٩هـ = ١٨٠٢ – ١٨٨٢م] عندما
سمع أن الشيخ السنوسي [١٢٠٢ – ١٢٧٦هـ = ١٧٨٧ –
١٨٥٩م] يدعو إلى فتح باب الاجتهاد حمل عصاه الغليظة، وأخذ يبحث عن الشيخ السنوسي ليضربه

ونعرف أن نفس الشيخ عليش هو عندما علق كلمة «المعتزلة» قد ذكرت في صحن الأزهر على لسان محمد عبده الذي كان لا يزال طالبًا بالأزهر ينطلق على حفظ الشيخ الأكبر [١٢٥٤ - ١٣١٤هـ / ١٨٣٨ - ١٨٩٧م] المعتزلة في حب حنبلي، وذهب إلى صحن الأزهر ليعقب على محمد عبده ويرد ما سمع من شروح المعاني على أمهات كتب «علم الكلام» الإسلامي عندما علم الشيخ عليش أن كلمة «المعتزلة» قد ذكرت بصحن الأزهر هم أن يهشم عظام محمد عبده بعكازه لضبط

كل هذا هو مستوى المؤسسات الفكرية التقليدية، سواء أكانت تعليمية أم صوفية تحول لديها التصوف من تصوف «عقلاني - فلسفي» أو «تهذيبي» شرعي إلى شعوذة وجبن واحتيال وبدع وخرافات

لقد انكفأت هذه المؤسسات على أسوأ ما في التراث الفكري انكفأت على السلبي والجامد والمتخلف ورفضت في جمود شديد ليس ما جاء من الغرب كوافد فقط وإنما رفضت كذلك جوهر الموروث العربي الإسلامي كما تألق قبل عصر الركود والجمود

ولقد كان تراث هذه المؤسسات الفكرية، الذي كون فكر منتسبيها في ذلك التاريخ لا يبعث على السرور أو الاحترام وكان مستحيلاً على هذا التراث أن ينافس «الواقد الغربي» الذي يحمل إبداع عصر النهضة والثورة الصناعية فلم تكن تلك المؤسسات في ذلك التاريخ تعرف حقيقة موروث هذه الأمة من أن الذين بدءوا تحقيق النصوص القديمة والذين بدءوا يكتبون الدراسات

حول موروثنا الحضاري كانوا هم المستشرقين. وكان موقف مؤسساتنا التقليدية من جواهر تراثنا كنتر موقف اسفهاء الذين ورثوا كنوزا عينية لكنهم لا يعرفون قيمتها ولا قدرها!. والذين يقرءون للمستشرق الروسي كراتشكوفسكي [١٨٨٣ - ١٩٥١م] من كتبه عن [المخطوطات العربية] بصفحتها الأسى والألم، ثم يحكي كيف كان الشيخ المسئول على مخطوطات مكتبة الأزهر جاهلا بقيمة هذه المخطوطات، بل وعدوا - بسبب هذا الجهل - منها منه فقد أخفى عليه كراتشكوفسكي فحدثه عن في مخطوط إحدى رسائل أبي العلاء المعري [٣٦٣ - ٤٤٩ هـ = ٩٧٣ - ١٠٥٧م] من زندقة والحاد فما كان من هذا الأمين - أمين المكتبة - إلا أن حمل «سلة» من مخطوطات المعري وألقاه على كراتشكوفسكي أن يحدها لتطهر مكتبة الأزهر الشريف من بهذه المخطوطات من زندقة والحاد!

كان هذا هو موقف هذه المؤسسات التقليدية من الموروث الحقيقي للأمة لم تكن تعرف حقيقته تتركه في مستبعة الجوهرية ولاصله لأنها كانت تعيش على زاد ضحل ومصنع ومتخلف، عندما يوضع في كفة وموضع فقد تحصن به معرفية في الكفة الأخرى تصبح المعركة والمنافسة. وهكذا أصبحت... عبر تشكيلة من هذا الوافد وبين الموروث والذي حدث، عبر هذه المنافسة وهذه المعركة أن الصفوة والنخبة الحديثة والرائعة في الحداثة والتحديث قد دارت ظهرها لهذا الموروث لأنها ... وبكل الاخلاص للوصول قد رأت أن السبيل إلى القوة والتحضر والتطور كامن في أن تصبح غربيا

كالغربيين في كل شيء. وتلك كانت بداية نشأة التيار الذي سميته تيار التغريب في واقعنا الحضاري.

لقد نشأ هذا «التيار التغريبي» نشأة طبيعية مع هذه الهجمة الاستعمارية الحديثة، فالقوة الصاعدة والمحنة الحديثة التي رزئت بها ما يسمى بـ «المحروسة» أو «المحروسة المملوكية» العثمانية للإسلام، لا تبعث على السرور، وليست جديرة ولا مؤهلة لأن تقيل هذه الأمة من عثرتها، وتنهض بها كي تواجه الأوربيين. فقالت هذه النخبة: إن السبيل لمواجهة أوربا، والطريق لعودة الأمة لكي تتحرر من الاستعمار هو أن تستعير الحضارة الغربية. فكان أن دعت هذه النخبة إلى ما دعا إليه الدكتور طه حسين [١٣٠٦ - ١٣٩٣هـ = ١٨٨٩ - ١٩٧٣م] في كتابه [مستقبل الثقافة في مصر] من أن نفكر كما يفكر الأوربيون، ونحكم كما يحكمون، ونحسب كما يحسبون، بل ونخطئ كما يخطئون... إلى آخر مقولات تيار التغريب.

وبالطبع فقد كان هناك عذر للذين تغربوا في ذلك التاريخ، فلقد كانت هناك قضية تلك المؤسسات التقليدية لا يصح لنا أن ننكرها أو نغفل عن آثارها، وهي أن الحفاظ على الذاتية حتى في صورتها المتخلفة كان أفضل من كارثة الذوبان والتهاوي في الحضارة الغربية، ومن تسليم أقلاع حصونها وفتح كل المعاقل أمام غزوة «التغريب»!

ويكفي لأن نتذكر ونذكر ما حدث في الجزائر خلال معركتها ضد الفرنسة والمسخ الحضاري الذي أراد به المستعمرون الفرنسيون أن يحولوا الجزائر العربية المسلمة إلى امتداد للفرنسي اللاتيني

لفرنسا الأم عبر البحر الأبيض المتوسط وعلى الشاطئ الإفريقي. ففي معركة الجزائر هذه دفاعاً عن هويتها وموروثها الحضاري ضد الفرنسة وجدنا هذا [illegible] عندما دقت به الخطر وأصبح ظهره للحائط [illegible] سلاحه [illegible] تقوم وتحارب [illegible] حتى بالأسلحة العريقة. فالجزائر قد سلحت وحررت حتى «بالجهل والأمية»! من يتصور أن يصبح الجهل [illegible] أسلحة يدافع بها الشعب عن ذاته ضد الغزو؟ لقد حدث هذا [illegible] لأن الذين تعلموا وتثقفوا قد أصبحوا فرنسيين بالثقافة، ويفكرون في الوطن الأم فرنسا، أو يتحدثون في [illegible] الفرنسية ومفاهيمها [illegible] الذين ظلوا على جهلهم [illegible] فهم الذين احتفظوا بهويتهم وموروثهم الحضاري، [illegible] متميزة عن المسخ [illegible] الاستعمار. وقد استمر ذلك إلى أن جاءت [جماعة العلماء المسلمين في الجزائر] بقيادة شيخها عبد الحميد بن باديس [١٣٠٥ - ١٣٥٩هـ - ١٨٨٧ - ١٩٤٠م] [illegible] وجه الشرق [illegible] ومن أحشائهم [جبهة التحرير الوطني الجزائرية] التي رفعت السلاح وحررت الجزائر، وعادتها إلى أحضان العروبة والإسلام بعد احتلال قرن وثلث القرن.

[illegible] في ظل هذه التجربة التعريبية كان الانكفاء على الذات رغم سلبياته، من حيث عجزه عن تقديم البديل الحضاري، قادراً [illegible] على مقاومة الحضارة الغربية وفكرها التغريبي. وهذه هي السلبية الكبرى للجمود وأهله [illegible]

يقدموا البديل الصالح لنهضة الأمة أمام تحدي التغريب. ولكن هذا الجمود وهذا الانكفاء على الذات رغم تخلفه ورغم أنه لا يمثل جوهر العقلانية الإسلامية الحقيقية فإنه حفظ الموروث حتى يأتي بعد ذلك من يطور هذا الموروث ويتجاوز تخلفه وينفض عنه الغبار ويأتي - بالاجتهاد والتجديد - فيبعث ويطور المشروع الحضاري الذي تواصل به الأمة مسيرتها الحضارية المستمرة.

إذن نستطيع أن نقول إن هذا الاحتكاك، الذي بدأ مع الغزوة الأوروبية الحديثة قد أفرز في واقعنا الفكري تيارات ثلاثة:

- تيار الجمود الذي أشرنا إليه.
- وتيار التغريب الذي ظن واعتقد أن الخلاص إنما سبيله الوحيد هو أن نتغرب ونصبح في الحضارة غربيين.
- ثم التيار الوسطي التيار التجديدي الذي نسميه تيار الجامعة الإسلامية أو تيار التجديد الديني الذي رفع لواءه جمال الدين الأفغاني، والذي تكونت من حوله صفوة من المفكرين في مصر وفي المشرق وفي المغرب قادت الكثير من الحركات الوطنية، وقادت الكثير من حركات التجديد الفكرية والدينية في وطن العروبة وعالم الإسلام.

لقد رفض هذا التيار التجديدي الوقوف عند جمود التقليد وبشر بضرورة تجاوز تركة العصور الوسطى والمظلمة والعودة إلى المنابع الجوهرية والنقية.

وهذه العودة إلى المنابع هي التي تسمى بـ [السلفية] وهذا المصطلح قد أصبح - للأسف الشديد - واحدًا من المصطلحات

بسبب السمعة التي لدى كثير من المثقفين المستنيرين والعلمانيين
عن «السلفية» في تصور العصريين، فهم يعتقدون أن «السلفية» مرادف للرجعية
والتخلف والمحافظة والجمود على القديم، ونحن نعتقد أن هذا الفهم
خاطئ ومغلوط يغض عن حقيقة أن «السلفية» ليست تيارًا
واحدا في الفكر الإسلامي، وعن حقيقة أن كل حركات التجديد
والإصلاح في إطار وطن العروبة وعالم الإسلام قد كانت جميعها
حركات ودعوات سلفية، ذلك أنه في التدين في الثوابت في
الأصول في العقائد والتفسير في الشؤون المتعلقة بالغيب
والآخرة لابد من العودة إلى المنابع، وهذه العودة إلى المنابع
إن اكتفت بالوقوف عند النصوص، ولم تنظر فيها بالعقل
المستنير وبراهينه كانت سلفية نصوصية، تورث أصحابها
المحافظة والجمود، فإذا ما نظر هؤلاء السلفيون النصوصيون
في المتغيرات الدنيوية بمنهج هذا السلفي النصوصي
كانوا لابد نموذجا للجمود الباعث على القشور والتراث.

أما إذا عنت «السلفية» العودة للمنابع والنظر فيها بالعقل
المستنير والاقتصار فيها على الثوابت والأصول والعقائد، ثم
المراوحة بينها وبين المستقبلية فيما يتعلق بالمتغيرات
الدنيوية، كانت المنهج الأمثل للتجديد، لأنها بالعودة إلى
المنابع تمثل الثورة التجديدية ضد البدع والخرافات والرواسب
التي ترسبت على الثوابت والأصول، وهي بذلك تسهم في تحرير
العقل من الأغلال التي صنعتها أجيال عصور الانحطاط، ثم
إنها، فيما يتعلق بعمران الأرض وتطور المجتمع والمشروع

الحضارى المنشود لانتفاض الأمة وكل شئون الدنيا تدع فى إطار الكليات الدينية ووفق مصلحة مجموع الأمة التى هى فى فلسفة الإسلام التشريعية نص من النصوص. وبناء على ذلك على الرأى القائل بأنه إذا تعارضت «المصلحة» مع النص وجب تقديم «المصلحة» على «النص»، لأن «المصلحة» نص الحديث النبوى الشريف.. حديث «لا ضرر ولا ضرار» نص من النصوص.. فعندما نقدم «المصلحة» على نص فنحن نقدم «نصاً» على نص آخر. وليس نخرج بذلك عن نطاق ثوابت الدين وأحكامه

هذا هو نهج مدرسة التجديد الدينى الحديث فيما يتعلق بالثوابت. فيما يتعلق بالطابع الحضارى الذى يميز هذه الأمة لقد قالوا إننا نتميز عن الحضارة الغربية ولابد أن نحرص على هذا التميز وهذا التميز ليس انغلاقاً ولا عداء حضارياً. أما فيما يتعلق بشئون الدنيا بالعلوم الطبيعية وبتطبيقات هذه العلوم الطبيعية وبكل العلوم التى تؤسس حقائقها على قوانين وبكل ما يدخل فى عوامل القوة اللازمة لتقوية الذاتية الحضارية المتميزة فلابد أن ننفتح فيها على مختلف الحضارات نستفيد منها ونتمثل ونتبادل الأخذ والعطاء

ولقد كانت مدرسة «التجديد الدينى» بهذا المنهج وهذه الدعوة، الممثل الحقيقى لموقف حضارتنا العربية الإسلامية التاريخى فى هذا الموضوع فالعرب والمسلمون عندما قد انفتحوا على الحضارة اليونانية والفارسية والهندية لكنهم

لم يتحولوا الى فرس او يونان او هنود وانما هم تمثلوا من زاد سماتهم وخصوصياتهم شيئا وهم قد صنعوا ذلك من موقع صاحب الشخصية المستقلة، من موقع صاحب الجسد الصحيح والصحي تكسب لهم قدرة التمثل ولا تسلمهم دونما تبعية او مسخ او تشويه

لقد ترجموا فلسفة اليونان لكنهم لم يستوردوها ولم يتبنوا مقولاتها لتكون التعبير عن روحهم الحضاري وتصوراتهم للكون والوجود وانما قرأوا هذه المقولات الفلسفية اليونانية قراءة اسلامية حتى لقد اصبحت «فلسفة اسلامية». اما الذين قلدوا من فلاسفتنا مقولات الفلسفة اليونانية فلقد ظلوا مجرد هامش في التراث الفكري الاسلامي بل لقد كان فلسفة هذه الامة الحقيقية ومظهر عبقريتها وابداعها في ميدان الفلسفة هو «علم الكلام الاسلامي» الذي جسد وسطية الحضارة الاسلامية عندما وازن بين «العقل» و«النقل» فتأسست فلسفته على قواعد الدين

ان هذه الامة لها طابع حضاري متميز والى هذا دعا تيار التجديد الديني، دعا الى ان نحتفظ لهذه الامة بهذه الهوية الحضارية المتميزة ودعا الى أن ننفتح على علوم الحضارة الغربية ورائد هذا التيار جمال الدين الافغاني هو القائل «ان العلم امه وابوه الدليل» فانما يكون العلم مؤسسا على الدليل فليس له وطن ولا جنس ولا حدود ولا قوميات. اما في الانسانيات اما في الفلسفة والثقافة، اما فيما تتمايز فيه الحضارات العريقة المتمايزة فلا بد من الاحتفاظ بالهوية

هنا كانت عبقرية هذا التيار الوسطي الذي رفض «جمود الجامدين» والذي رفض أيضا «تغريب المتغربين». ومن يقرأ ما كتبه الإمام محمد عبده في الصفحات التي تحدث فيها عن «سيرته الذاتية» يجده يقول: «لقد نشأت كواحد من أبناء الطبقة المتوسطة في مصر، وتعلمت ما كان الناس يتعلمون، ورأيت جمهور الأمة وقد انقسمت إلى تيارين: طلاب فنون الدنيا وطلاب علوم الدين.. ثم تتبعت الفريقين فلم يكن الأولون سالكين طريق التحضر الصحيح، ولم يكن الآخرون سالكين طريق إصلاح القوم.. ثم يقول: ولقد تحدد بينهما موقف وسط ونهج يجمع ما في الموقفين من حق صحيح».

ومن يقرأ كلمات الأفغاني ويتتبع سيرته في كل المواقع التي ناضل فيها، يجد أنه كان واعيا بموقفه الوسطي بين تياري «الجمود» و«التغريب».. وما كتبه عن المدارس الحديثة التي أنشأها محمد علي باشا [١١٨٤ – ١٢٩٥هـ = ١٧٧٠-١٨٤٩م] ومثلها التي أنشأتها الدولة العثمانية ومن قام في الشرق الإسلامي من تحديث على النمط الغربي يجد مصداق هذا الذي نقول. لقد كذب الأفغاني مستقبل أحلام الذين ظنوا «الحداثة الغربية» صالحة للتعميم والإطلاق لتكون «حداثة للعربية الإسلامية»، فقال: «لقد شيد العثمانيون عددا من المدارس على النمط الجديد، وبعثوا بطوائف من شبانهم إلى البلاد الغربية ليحملوا إليهم ما يحتاجون من العلوم والمعارف والآداب وكل ما يسمونه «تمدنا»، وهو في الحقيقة تمدن للبلاد

حتى تسالمنا على نظام الطبيعة وسير الاجتماع الإنساني. فهل انتفع المصريون والعثمانيون بما قدموا لأنفسهم من تلك الأمور وقد مضت عليهم أزمان غير قصيرة؟ نعم، ربما وجد منهم أفراد يتشدقون بألفاظ الحرية والوطنية والجنسية [القومية] وما شاكلها، وسموا أنفسهم زعماء الحرية، ومنهم من حوّروا وقلبوا أوضاع المباني والمساكن وبدلوا هيئات المآكل والملابس والفرش والآنية وسائر الماعون، وتنافسوا في تطبيقها على أجود ما يكون منها في الممالك الأجنبية، وعدوه من مفاخرهم، فبددوا بذلك ثروة بلادهم إلى غير بلادهم، وأماتوا أرباب الصنائع من قومهم، وهذا جدع لأنف الأمة يشوه وجهها ويحط من شأنها. لقد علمتنا التجارب أن المقلدين من كل أمة المنتحلين أطوار غيرها يكونون فيها منافذ لتطرق الأعداء إليها وطلائع لجيوش الغالبين وأرباب الغارات، يمهدون لهم السبيل ويفتحون الأبواب، ثم يثبتون أقدامهم".

تلك كلمات جمال الدين الأفغاني شاهدة على أن مشكلة الموقف من الموروث ومن الوافد قديمة قدم الهجمة التغريبية الاستعمارية التي دهمت بلادنا مع مطلع العصر الحديث، وشاهدة كذلك على أن حركتنا الفكرية قد انقسمت إزاء هذه القضية إلى تيارات ثلاثة:

- أهل الجمود الذين انكفأوا على الذات، التي لم تكن تمثل الوجه الحقيقي والمشرق للموروث، ورفضوا أي تفاعل أو انفتاح على الوافد الأوروبي الحديث.

- والمتغربون الذين دعاهم نفورهم من صورة الموروث كما تجسدت في فكرة المؤسسات التقليدية إلى نبذ هذا الموروث والسعي إلى تبني النموذج الغربي في التحديث
- وتيار التجديد الديني الذي لم تحدث [illegible] عن الموروث تجديدًا ذاتيًا ولم تقف محتارة بين الموروث والوافد، وإنما انطلق من الالتزام بالأصول الجوهرية والأسس الثابتة للموروث الأمة وسعى إلى دعم استقلاليتها الحضارية [illegible] في الحضارة العربية من عوامل القوة واستقدام التي [illegible] الأوربيون



الجديد فى حقبة السبعينيات

لكننا نسأل السؤال نفسه الذي سأله ويسأله الكثيرون:

- لماذا ساد وعلا الصوت الذي يتحدث عن الوطن والمهزومين بعد هزيمة سنة ١٩٦٧م؟

- ولماذا استشرت ظاهرة العودة إلى الموروث واستحضاره في حقبة السبعينيات؟

- ولماذا اندفع الشعب في مصر بتلقائية وعفوية ينشد نشيد «بلادي، بلادي لك حبي وفؤادي» في جنازة البطل الشهيد الفريق عبد المنعم رياض؟

* * *

ولماذا اندفع الشبيبة ولم يتكهنوا إلى حيث الموسيقى العربية بعد هزيمة ١٩٦٧م، وخلال حقبة السبعينيات؟

- ومتى انخرطت أمواج الشبيبة في تنظيمات «الموروث» [الإسلام] تتحصن به كما لم تتحصن بشيء من قبل، حتى بأشكاله ورموزه [اللحية، والجلباب، والسواك]

■ من ومتى أحس الناس بالحاجة إلى تقدم بحث [illegible] يدافع عن الثقافة القومية

متى حدث ذلك؟ ولعل أهم الأسباب لبعث هذه التمسك بالموروث [illegible] وبحدة الذي يعلو صوته حول خصيصة ترافق و [illegible] هويتنا؟

لقد حدث ذلك في مواجهة هزيمة سنة ١٩٦٧م حتى اقتربت مصر ما فقدت تجربة المشاريع التحديثية المغتربة الوافدة من مصداقيتها وجدارتها بانتهاض الأمة من كبوتها الحضارية، ومن ثم فلقد انعطفت جماهير الأمة إلى الموروث تتحصن به وتدعو إلى سلوك سبيله لمواجهة التحديات المفروضة على الأمة، وثقة من فعالياته اليوم لأن أسلافها قد انتصروا على تحديات الأمس بهذه الفعاليات.

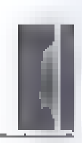
وحدث ذلك في مواجهة الهجمة التغريبية التي حدثت بها حقبة السبعينيات، تلك الهجمة التي تجسدت في شيوع التحلل الاقتصادي الذي أسموه انفتاحا، وشيوع ثقافة المسارح الانفتاحية، وسيادة قيم شارعي «الشواربي» و«الهرم» في أجهزة الإعلام، وشيوع الأنماط الاستهلاكية التي تستنفر غرائز النهم والشره والشهوة في الإنسان.

لقد زحفت هذه القيم والظواهر التغريبية على الواقع في حقبة السبعينيات حتى كادت تطمس ضياء ذلك الشهاب الذي لمع في أفقنا في السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣م، وذلك لم يكن غريبا أن يحتج ضمير الأمة ويستنفر جسدها بحثا عن

الحماية في ترسانته الحضارية التاريخية ومتحصنا بموروثه ومتترسا بالقلعة التي تترس بها أسلافه وهم يواجهون أمثال هذه التحديات التي مرت بها هذه الأمة عبر تاريخها الطويل

ذلك هو تفسير الشيوع لهذه الظاهرة في السبعينات

لقد كان شيوعا لظاهرة لم توجد في الستينات



قانون الاحتكاك الحضارى

إن سر اختيار القصة التي حدثت لأمتنا عندما احتكت هذا الاحتكاك العنيف بالحضارة الغربية هو أنه قد يكون على علم بالقانون الذي يحكم ظاهرة التماس الحضاري والتفاعل بين الحضارات سواء أكان هذا التماس سلبيا أم إيجابيا.

فنحن إذا راجعنا تاريخ الحضارة الغربية عندما كانت في سباتها قبل النهضة نرى أنها قد احتكت بالحضارة العربية الإسلامية ونحن نعرف دور الأندلس والترجمة و[illegible] في الأندلس إلى آخر القصة المعروفة التي يحفظها الجميع.

ماذا كان موقف أوربا من هذه الحضارة المتفوقة ومن الوافد الذي يشبه موقفنا من حضارتهم عندما احتكت بها سلما وعنفا في الأندلس وعنفا في الحروب الصليبية وهي في سبيلها إلى النهوض.

لقد انقسمت الحياة الفكرية الأوربية بوجه عام إزاء الوافد العربي الإسلامي إلى تيارات ثلاثة:

■ ومن هذه التيارات يوضع كذلك تيار «الكنيسة الكاثوليكية» الذي مثل أهل المحافظة والرجعية والتخلف والجمود.. لقد رفضوا أي انفتاح على الحضارة العربية الإسلامية.. رفضوا الدين الإسلامي وعقلانيته والعلم والأخلاق والفكر والفلسفة جميعها.. لقد تصوروا ما تحمله بهم الدين الإسلامي من «توحيد» يرقى صورة وأفقاً حتى يرفض أي «حلول» أو تجسيد أو تعددية في ذات المعبود سبحانه.. الخ ولذلك رفضوه، ورفضوا الفلسفة الإسلامية، بما فيها من عقلانية.. رفضوا فكرية الحضارة الإسلامية بكل ما فيها دينا وعلوما وحضارة. فلقد كانت علوم هذه الحضارة حاملة في ثناياها الروح الإيمانية للإسلام.

■ وكان هناك تيار يسميه البعض بـ «الرشديين اللاتين» الذين تأثروا مع ابن رشد، وحملوا التنوير بفكره.. وكان في هذا التيار قطاع متحمس لتبني الحضارة العربية الإسلامية يتسلح بها وأفقها.. في حربه ضد الكنيسة وتيار الجمود.. ولقد بلغ هذا القطاع في حماسه للوافد العربي الإسلامي إلى الحد الذي جعله يتمنى أن تنطبع به أوربا انطباعا كاملا وحتى تمنوا أن يسود الإسلام وحضارته أوربا.. وكتب «أناتول فرانس» [١٨٤٤ - ١٩٢٤م] معبرا عن نزوع هذا التيار يقول: «يا ليت الإسلام كان قد بسط فكره على أوربا من الأندلس حتى تركيا وقد نصب مآذن المساجد قد ارتفعت بدلا من الكنائس، ويا ليتنا سمعنا ترتيل القرآن بدلا من الأناجيل.. إذن لأعتقت أوربا من عصورها المظلمة والقرون المتخلفة التي عاشتها».

على هذا النحو فكر وعبر فريق من مفكري أوربا كان يرى الموقف الأمثل هو تبني هذا التراث العربي الإسلامي ليكون البديل الذي ينهض بأوربا ويخرجها من عصورها المظلمة.

■ أما التيار الأساسي الذي صنع عصر النهضة الأوربية وبنى دعائمه، فلقد وقف إزاء الحضارة العربية الإسلامية موقفا متميزا عن موقف «الرفض الكامل» الذي وقفته الكنيسة وأنصارها، وعن موقف «التبني الكامل» الذي وقفه فريق من «الرشديين اللاتين».

لقد سعى هذا التيار إلى حضارتنا فوعاها ثم استلهم وتمثل منها «المنهج التجريبي» و«العلوم الطبيعية». أما فلسفة العقلانية الإسلامية فلقد مر هذا التيار عقلنا عن نفس فرفض ما في عقلانيتنا من «نقل» و«وحي إسلامي» وأخذ فقط الانحياز إلى معايير العقل، فكأنه قد أخذ عنا عقلانية اليونانية وترك ما تميزت به عقلانية الإسلام.

لقد كان المنهج عند اليونان هو القياس، فأصبح في حضارتنا هو الاستقراء والتجريب، وهذا هو الذي تمثله الأوربيون من حضارتنا، وتمثلوا معه علوم هذه الحضارة من طب وحساب وجبر وبصريات الخ الخ لكنهم تحفظوا إزاء القيم والأخلاقيات والروح الحضارية للحضارة العربية الإسلامية. أخذوا علوم العرب والمسلمين التي نسميها «العلوم الطبيعية»، وتثقفت هذه العلوم ثم طوروها في عصر النهضة، ولكنهم فيما يتعلق بالإنسانيات تحفظوا. لقد رفضوا «التوحيد»، وهو جوهر فكرية [أيديولوجية] هذه الأمة

ومعيار نظرتنا وتصورنا لهذا الكون. ورفضوا قيم حضارتنا ورفضوا «الوسطية الإسلامية» التي هي الموقف المعتدل والعادل الذي يقف به حضارتنا بين ما هو «غيب» وما هو «شهادة» وبين الدنيا والآخرة وبين الجسد والروح وبين الحكمة والشريعة.. الخ وهذه الوسطية هي المزاج الحضاري والروح الحضارية التي تتميز بها حضارتنا العربية الإسلامية

لقد أخذوا الجانب العلمي المؤسس على الحقائق العلمية وتطوراتها. أما فيما يتعلق بالعلوم الإنسانية وبالقيم وبالأخلاقيات والطابع الحضاري والذي يشبه «البصمة» و«المزاج الحضاري» و«الروح الحضارية» فلقد رفضوها رفضها هذا التيار الذي أسس وبنى وصنع وقامت على أكتافه فكرية عصر النهضة في أوربا

هذه هي التيارات الأوربية الثلاث التي واجهت مواقف الغربي الإسلامي إبان سعي أوربا إلى النهضة. والتي تقابل تيارات الثلاث في موقفها من فكرية «التغريب». فلو نظرنا في الوضع الفكري الأوربي كما نظرنا في واقعنا الفكري إزاء ظاهرة الاحتكاك الحضاري بين الحضارتين، لتشهد على عموم هذا القانون

«فهل نحن محمودون برفضنا أي انفتاح على أي حضارة من الحضارات ونكتفي على الذات بصرف النظر عن صلاح وصلاحية هذه الذات

ويقوم [illegible] هم المتغربين [illegible] [illegible] الصلاة [illegible] لأصبح هؤلاء ينحون في الحديث «المتحضر» في كل شيء ويصبح مثله في كل المجالات والميادين.

ولنتذكر الذي سمعناه [illegible] في حياتنا [illegible] [illegible] محمد [illegible] الذي [illegible] بمصر [illegible] [illegible] مشروعه حضاري متميز [illegible] على قاعدتين، ويصر [illegible] [illegible] بالمصرية [illegible] [illegible] وبالعلوم والنظم التي [illegible] [illegible] في الحضارة الغربية.

لقد [illegible] [illegible] [illegible] الأجانب [illegible] وهو [illegible] [illegible] [illegible] يعلم [illegible] [illegible] ولكن [illegible] ليس على [illegible] [illegible] [illegible] ينتهي للأوربيين [illegible] من الاختلاف [illegible] [illegible] في كل [illegible] [illegible] [illegible] موقف المتميز بين العلوم التي لا وطن لها ولا جنس ولا حدود تحد صلاحها وصلاحيتها وبين الإنسانيات والاجتماعيات والفلسفات والفكر الذي يحدد للإنسان تصوراته للكون وكل ما يتميز بتميز المواقع الحضارية.

وهذا التمايز الحضاري [illegible] كما أشرت [illegible] هو غير الانغلاق والعداء الحضاري.

وعلى سبيل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حربية [illegible] [illegible] الذي يعيش عليه [illegible] [illegible] الحضارية [illegible] [illegible] يمكن [illegible] [illegible] حضارة متميزة [illegible] [illegible] حضارة متميزة وأن الغرب حضارة متميزة [illegible] وأيضا [illegible] الغرب [illegible] حضارة متميزة [illegible] [illegible] الحضاري [illegible] [illegible] «التبعية» [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الحضاري و«الخصومة الحضارية».

الصيني ماو تسي تونج [١٨٩٣ - ١٩٧٦م] الا يعنون انه
قد طوع الماركسية وهي وافدة للموقف الصيني
وثورته [illegible] فأصبحت [illegible] خصوصية
[illegible] لا صينية لا اوربية [illegible] ومراحله
والثورة والانجاز لكنهم يقولون هنا كان الصيني بثورته
الفكري بوتقة حضارية متميزة وفي هذه البوتقة كان على
الوافد ان يطوع للثورة فتشكل بشكل جديد.

وهذا نص الصيني يذكرنا بما سبق أنه من أن أسلاف العرب
المسلمين عندما ترجموا الفلسفة اليونانية فإنهم قرأوها قراءة
إسلامية، لقد [illegible] من موقف مستقل وموقع راسخ [illegible]
[illegible] مرجعهم الحضاري المتميز ومراحلهم الحضاري
الخاص والذين يفقهون ولا أقول يقرأون شروح ابن رشد
على أعمال أرسطو [٣٨٤ - ٣٢٢ق.م] وهو الشارح الأكبر
لأرسطو- يرون في إضافات ابن رشد وابداعه ما يمثل ابن رشد
المسلم، والمتكلم، والقاضي والفقيه فما كانت الاضافة ممثلة
لروحه الحضاري حتى في الشروح الأرسطية على أعمال [illegible]
[illegible]
[illegible] كمتكلم [illegible]

هذا هو القانون [illegible] كيف [illegible] بفكرنا
«التعريب»، عندما بدأت النهضة الأوروبية الحديثة وهو ذات
القانون الذي حكم [illegible] العرب [illegible] نهضته وعلى
قبل ذلك حكم [illegible] العرب المسلمين وآخر العصر الأموي وهي

العصر العباسي، بالحضارات التي أخذوا منها وترجموا عنها حضارات اليونان والفرس والهنود

ونحن عندما نتأمل في تجربة مصر تحت قيادة محمد علي باشا، نجد ما يفيدنا في هذا الموضوع.. إن البعض منا عندما يفتح كتاب [البعثات العلمية في عهد محمد علي وعباس وسعيد] وهو الكتاب الذي وضعه الأمير عمر طوسون [١٢٨٩ - ١٣٦٣هـ = ١٨٧٢ - ١٩٤٤م] إن هذا البعض يردد كلاما شائعا- ولكنه مخطئ - يقول: إن من سلبيات محمد علي أنه قد بعث المبعوثين الذين درسوا العلوم والفنون العملية من طب وزراعة وهندسة وعسكرية وقناطر وجسور واستحكامات وطباعة ونسيج وغير ذلك الخ.. ولم يرسل مبعوثين ليدرسوا إنسانيات الحضارة الأوربية وفلسفاتها.. وحتى الذين نبغوا في إبداع الفكر الإنساني من هؤلاء المبعوثين فإن نبوغهم هذا لم تكن وليدة ما درسوه في أوربا بهذا الميدان.. فعلي مبارك [١٢٣٩ - ١٣١١هـ = ١٨٢٣ - ١٨٩٣م] الذي برع في التأريخ للمجتمع من خلال [الخطط] كانت دراسته في أوربا عن الاستحكامات العسكرية.. والطهطاوي [١٢١٦ - ١٢٩٠هـ = ١٨٠١ - ١٨٧٣م] قد تخصص هناك في ترجمة علوم الصنعة والفنون العملية.. فكانت ريادته لهذا الميدان عودة وعودة لريادة طلائع المترجمين العرب في العصر الأموي عندما بدأوا بترجمة علوم الصنعة منذ منتصف القرن الهجري الأول تحت قيادة خالد بن يزيد [٩٠هـ - ٧٠٨م]

ونحن لا نرى في صنيع محمد علي باشا هنا سلبية كما يرى الآخرون، فهو لم يقتصر في النقل عن أوربا على علوم الصناعة وأصولها [illegible] العلوم الطبيعية، لأن ذلك [illegible] الإنسانية والروحية كما يعيب البعض عليه ويحكم ظلما، وإنما صنع ذلك لأنه كان واعيا بالضروري الذي هو في حاجة إليه وعرف بحكمة الوافد الذي يحتاجه وماهية الموروث الذي لا بد من الاحتفاظ به. لقد نقل الصناعة من أوربا وقدم بمطبعته التي طبعت علوم أوربا العملية كما طبعت ذخائر الموروث في أول مشروع قومي لإحياء التراث في عصرنا الحديث.

والطهطاوي الذي يجمع الجميع على أنه صاحب المذهب الانتقائي، ويعني أنه هو الذي وقف سراج التنوير [illegible] في عمله جديدا طيبا عن الأوربيين باعتبارهم أهل التمدن والتقدم والصناعات الذي يجب علينا أن نأخذ عنهم هذه العلوم والتطبيقات بلا عقد ولا حدود. ولكنه يتقدم [illegible] إلى مرده، وهدفه من هذا الانفتاح الذي دعا إليه هو علوم التمدن المدني والعلوم الحكمية الفلسفية، وهو يكرر [illegible] عليه فيدعو إلى الفلسفة الغربية وتصور الأوربيين للكون وفلسفتهم في التشريع ويحثنا على ذلك وحديث عن [illegible] لهم في الفلسفة حشوات ضلالية مخالفة لكل الكتب السماوية. وهذا [illegible] عند البعض [illegible] على الطهطاوي لأنه يتمنى لو يتبنى الشرق كل ما في أوربا حتى فلسفته ولاهوته. ويرى هذا البعض في موقف الطهطاوي هذا سلبية وازدواجية وعجزا عن تبني الحضارة الغربية ككل. ولا أقول إن هذه هي عبقرية عند

الطهطاوي، وهذا هو الموقف الأصيل الذي تحسب فيه الأصالة والمعاصرة على النحو النافع والمطلوب. لقد عرف الطهطاوي ما الذي نحتاجه من أوربا كي نقوي شخصيتنا الحضارية المتميزة فبحث عن «الوافد» الذي يقوي به «موروثنا» المتميز وليس عن «الوافد» الذي يطمس هذه الذاتية الحضارية المتميزة.

ونموذج محمد علي باشا ونموذج رفاعة الطهطاوي من النماذج الحية التي ترينا معنى هذا القانون الذي أبصره هؤلاء العباقرة المصلحون والمجددون، وبصروا حكمة للأمة لتحكم بين الحضارات ذات العراقة والغنى والاستمرار: ماذا نحتاج؟ وما العلوم التي لا وطن لها، والتي لا خطر على ذاتيتنا المتميزة من وفودها، والتي لا بد لنا وأن نسعى إليها سعيا جادا وحثيثا؟ وما الذاتية الحضارية التي لا بد من تجديدها، والنهوض بها وتطويرها، مع المحافظة على الأصول والسمات والقسمات التي تضمن بقاء تميزها المتسق مع الشخصية القومية للأمة؟ لأنها بالنسبة للأمة، كالبصمة بالنسبة للفرد. فكما أن لكل إنسان «بصمة» وهو يصافح الكل دون أن يفقد تميزه ببصمته هذه عن الآخرين، كذلك هناك الذاتية الحضارية المتميزة والتي يجب أن نبحث عنها في «الموروث». ونحن عندما نسعى لامتلاك العلوم وحقائقها والاستفادة من تطبيقات هذه العلوم والاستفادة من تجارب الأمم والحضارات الأخرى، فإنما نسعى لامتلاك «مصادر القوة» التي نقوي بها ذاتيتنا الحضارية المتميزة، دون أن نخلطها بتلك المصادر التي تمسخ شخصيتنا أو تشوه ذاتيتنا أو تنسخها من الأساس!

إن الإنسان الصحيح [المستقل] هو الذي صحته تتمثل
بقدر سبق من الغذاء يصبح هو الغذاء قد يؤدي بحياة المريض
والإنسان ينمو ويتطور فتتغير فيه الأشياء ولكن هناك ثوابت
تجعله هو هو رغم النمو والتطور الذي يعتريه. وكذلك شأن
الحضارات فيها الثوابت والأصول والقسمات التي تمثل هويتها
وفيها المتغيرات التي تفسح الهوامش للتفاعل والأخذ والعطاء
مع الحضارات الأخرى. وعلينا أن نبصر ذلك جيدًا وأن نميز
بينه جيدًا حتى نتجنب مخاطر «التبعية والذوبان» ومخاطر
«الجمود والانغلاق»

أي موروث؟.. وأي وافد؟..

إن القضية ليست قضية «موروث» و«وافد» على الإطلاق والتعميم، وإنما هي قضية ما الصالح والأصلح من «الموروث» ومن «الوافد».

بل إن علينا أن نبحث في كل «موروث» حضاري و«وافد» ثقافي عن بعض «الوافد» لصلاحه وملاءمته للروح الحضارية التي نحن بصدد تمثله أي «موروث».. فالوافد الجديد يمكن أن يكون ضعيفًا وصالحًا ويمكن أن يكون ضارًا.. إن الموقف ليس هو الانصياع مع «الموروث» بشكل مطلق، أو مع «الوافد» بشكل مطلق.. وإنما لا بد أن نبحث عن «الهوية» الحضارية فتم تميز؟ وبين الثوابت؟ وبين المتغيرات التي في هامشها مساحة وممكن للوافد المحقق لمدى القوة والصحة للهوية وللثوابت الحضارية الموروثة؟

وعلى سبيل المثال فإننا عندما نجد في الموروث العربي الإسلامي قيم التواكل والزهد، الذي قد يصل إلى درجة إدارة الظهر للدنيا وللعمران.. فإننا نعرف أن هذا التواكل والزهد

التراث هو في الأصل «وافد» فارسي دخيل على الحضارة
العربية الإسلامية ووفد عليها من الموروث الفارسي القديم وكان
وسيطاً ضاراً. لقد أصبح «موروثاً» ومع ذلك فقد ظل عندنا
كل وقت وصار بمرور الوقت أصبح جزءاً من بنية هذه الحضارة، فهو
موروث لكنه موروث ضار، كما كان وافداً ضاراً.

و«قيم عصر الحريم» فيما يتعلق بوضع المرأة والنظرة
إليها لقد بدأت «وافداً» تركياً مملوكياً دخيلاً على حضارتنا
العربية الإسلامية. ومن يقرأ فتاوى الإمام محمد عبده عن رأي
الإسلام في تعدد الزوجات يجد حديثه عن هذه الحقيقة. وقد
تحولت هذه القيم إلى «موروث» إلى الحد الذي جعل الكثيرين
يتصورون أن قيم عصر الحريم هذه هي المعايير الإسلامية التي
نظر بها الإسلام إلى المرأة المسلمة! وينسى هؤلاء أن صورة
المرأة المسلمة، في صدر الإسلام كانت المرأة المقاتلة
والمناضلة والعاملة والعالمة والتي تدافع عن حقوقها حتى
بالمظاهرات، والتي تذهب إلى الرسول ﷺ وتقول له: إن
الرجال قد استأثروا بك دوننا، وأنت مبعوث للجميع فاجعل لنا
يوماً تحدثنا فيه وتعلمنا أمور الدين.. وينسى هؤلاء تلك
الصورة الإسلامية للنساء المسلمات اللاتي حملن السلاح ودافعن
عن الرسول في غزوة حنين عندما فر كثير من الرجال.. إلخ إلخ
فصورة المرأة المسلمة المناضلة قد انزوت وكادت تتلاشى في
صفحات موروثنا، وأصبحت قيم عصر الحريم وصورة المرأة

التي خلقت لتكون متعة الرجال وموضع شهواتهم ومصدر تسرية

بيت السيد – هي موروث بدوي أضفى عليه البعض قداسة الدين

محاولين تخليده فأصبح جزءاً من الهوية الحضارية للأمة

والحقيقة المستغلة فيها هي الأخرى – وهذه فارسي

وبيزنطي، غريب عن الموروث العربي الأصيل الذي يتميز بالعدل

والمساواة وقيم الاشتراك العمومي بين أفراد القبيلة ثم الأمة في

أمور المعاش

والذين يتساءلون عن سر موقف خليفة الرسول عمر بن الخطاب

من أبهة الملك وامتيازات الوالي التي كان عليها معاوية بن أبي

سفيان عندما كان واليا لعمر على الشام – الذين يتساءلون عن موقف

عمر هذا يدركون كيف كان معاوية – بولائه ولحضارة

وبطبقية – نمطا سيئا وفدا وغريبا عن الفكرية الإسلامية

المستنبطة من سنة الجزيرة العربية. ولقد عبر معاوية الرحال هذه

العوائد في حياته وأسلوب حكمه لولايته بصورة تبث بعض

هيبة الولي في قلوب الناس فهذه الأشياء واستعملت من موارث

البيزنطيين التي عدت موروث ولاية الشام. وبعد كل هذا

عمر على سرير معاوية هذا

– لا آمرك، ولا أنهاك؟

فلقد كان الثراء والترف مختلف عن واقع شبه الجزيرة العربية

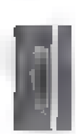
المستنبط والمادي وقد غريب عن البساطة والجماعية التي سادت

شبه الجزيرة في ذلك التاريخ

وهذا الموقف العربي والمسيحي قد أصبح مهجوراً ... ولن
نجد أصحاب ... الفكر المسيحي الذين يجدون العقيدة المسيحية
يضفون عليه قدسية الموروث من وقداسة الدين ... فيتحدثون عن
مشروعيته الحقيقية المستقلة، وضرورته ليتخذ بعض الناس
بعضاً لآخر سخرياً ... الخ. وهم بذلك إنما يضفون قدسية
الإسلام الحنيف على العدل والمساواة والاجتماعية والتكافل
الاجتماعي يضفون قداسة هذا الدين الحنيف على هذا ... وغير
الطبقي الاستعلائي الذي جاء من حضارات وثنية مشركة
ومجتمعات طبقية لم تعرف سماحة الشريعة التي جاء بها الإسلام.

إن هو واجب ألا نتعصب للموروث لمجرد أنه موروث، وألا
نرفض الوافد لمجرد أنه وافد، وإنما لابد أن نتحدث عن مكان
الموروث من هوية الأمة الحضارية، ومن الثوابت والأصول التي
تمثل السمات التي تتميز بها وتمتاز عن الأمم الأخرى. ودور هذا
الموروث في المحافظة على التواصل الحضاري في مسيرة الأمة
التاريخية ومكانه من ترسانة الأسلحة اللازمة للأمة في
صراعها ضد تحديات العصر الذي تعيش فيه.

وأن نتحدث كذلك عن ماهية الوافد، وهل هو عامل قوة
ضروري لأمتنا ... وعن مدى استعداده للوجهة الحضارية التي
تمر بها أمتنا؟ فإن كانت نهضتنا تقتضيه ومشروعنا الحضاري
يستدعيه، فلابد أن نسعى إليه سعياً جاداً وحثيثاً فهو أولى بنا
ونحن أولى به من موروث قد أصبح قيداً يحول بيننا وبين
الانطلاق.



ما هى الهُوية؟

وإن كان المعيار في الموقف من الموروث ومن الوافد هو هوية هذه الأمة، والثوابت الحضارية التي تميزها، والروح الحضارية المكونة لمزاج حضارتها، فلا بد أن نحدد: ما هي هذه الهوية»؟

هل الهوية هي كل التراث؟

نحن نحسب [illegible] أن التراث للأمة هو كل الموروث، فهو كل ما ورثناه سواء منه ما كان من علوم الشرع، ومن العلوم العقلية، أو في «العلوم التجريبية»، كل هذا هو تراث الأمة. وهذا التراث فيه شيء [illegible] ولا بد هنا [illegible] من [illegible] واختلاف [illegible] لأنه ثمرة لأبناء [illegible] فكرية ومدارس فكرية متعددة، بل ومتناقضة [illegible] في ذلك الواقع القديم. وهذا الواقع الذي تميز فيه هذا التراث متطور أبدًا ومتغير حتى تحكم قانون التطور الذي هو سنة من سنن الله سبحانه في الكون. وهذا التطور لابد أن يستدعي تطور

فضلاً عن هذه العراقة، وهي التي [illegible] ولذلك فلسنا عشاقاً للكتب واصفرار أوراقها وعراقة حروف محفوظة بها ولا خدم مقولاتها، ليست هذه بالمؤهل ولا بالحجة التي تضفي على الموروث القداسة والمصداقية، ومن ثم فنحن اليوم لسنا ملزمين بنحو معارف القدماء ولا بمناهجهم، ناهيك عن مقولاتهم وبعض الدعوات [illegible] بذلك الإلزام عبث والذين يتكلمون عن هذا [illegible]

لذا لا نقصد بالحفاظ على كل الموروث حتى ولو تجاوزه الزمن، فليس كل موروث هو الهوية الحضارية التي تميز الأمة حضارياً.

ونحن عندما نتحدث عن تعريف الهوية نتحدث بمصطلحها ليس غريباً عن موروث القدماء، فهو واحد من المصطلحات التي صنعتها حضارتنا قديمة، فالسيد الجرجاني [٧٤٠ – ٨١٦هـ ١٣٤٠ – ١٤١٣م] يعرف الهوية في كتابه [التعريفات] وهو قاموس للمصطلحات تعريفاً بأنها هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق، أي أنها تعني الذاتية الخاصة المتميزة التي تميز الظاهرة عن الظواهر التي تشبهها

أما معجم اللغة العربية فهو يعرف الهوية تعريفاً حديثاً فيقول إنها حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية وليست أي صفات، والتي تميزه عن غيره

هل هو تعريف الهوية العربية وحدها، ولذلك فإننا سوف
نحاول الحديث عن الشخصية القومية والشخصية الحضارية

فماذا تعني الهوية بالنسبة للحضارة

كيف نحددها

إنها الصفات الجوهرية التي تميز عن غيرها من
الشخصيات القومية والحضارية إنها الصفات الممثلة للقدر
الثابت والجوهري والمشترك من السمات العامة التي تميز
شخصا ما عن غيره أو قومية عن غيرها أو حضارة عن غيرها
من الحضارات فهي في البداية وفي الجوهر

وإن كان هذا لا يعني أن الثوابت وحدها تصنع الهوية فهو
يعني أن فيها ما هو ثابت هو الجوهر وفيها ما هو متغيرات تتغير فيه
وتتطور وترد على نحو أكيد

وهذا الأمر ينطبق على ذلك بخصوص الأمة

فالعروبة بالنسبة لهذه الأمة هويتها لأنها على مر العصور
ومنذ أن اندمجت هذه الجماعة البشرية بالعربية في هذه الأمة
الجديدة، بعد أن تعربت وأصبح ولاؤهم للعروبة بالمعنى
الحضاري وليس بالمعنى العرقي والعنصري ومن يقرأ كتب
العلماء العرب الذين تحدروا من أصلاب وشعوب غير عربية
عرقية يعرف كيف كان ولاؤهم للعروبة واللغة وهم بها كاملا
وخالصا ومن هؤلاء العلماء على سبيل المثال ابن جني
[٣٩٢هـ - ١٠٠٢م] الفارسي الأصل والذي كتب كتابه

[الخصائص] فجاء أعظم ما كتب في فلسفة العربية يكشف عن حتى فيه كشف لم يعلم الكثير من علماء العربية ذوي الأصول المنسوبة إلى العروبة والمتحدرين منهم من أصل فارسي على وجه الخصوص، فسألهم عن مقام العربية بالنسبة للفارسية، فوجد جماعتهم على رقي العربية وارتفاعها حتى على أبكار حجة المقارنة والقياس».

فهؤلاء المسلمون قد تعربوا وأصبحوا يفكرون ويبدعون، ويكتبون بالعربية وخلص ولاؤهم لأمتها، وهم بعروبة رغم انحدارهم من أصلاب عرقية غير عربية.

والموروثات التي سبقت الفتح العربي والإسلامي، هي كذلك قد تعربت كما تعرب البشر، ودخلت أبنية عصر التدوين في نسيج الحضارة الجديدة تلك التي تبلورت كثمرة لإسهام جميع جميع أمم الشرق وكل موروث هذه الأمم على امتداد عمق حضاراتها الضاربة في أعماق التاريخ، حتى إنني لو قلت إن نصيب غير العرب الأقحاح في هذه الحضارة العربية الإسلامية أكبر من نصيب عرب شبه الجزيرة العربية، لما كنت مبالغاً لأن الفتح العربي لم يمارس مع هذه الموروثات الفكرية والحضارية سياسة المسخ أو النسخ أو التشويه، وإنما أحياها وعربها وصبغها بصبغة الإسلام وأدخلها في نسيج الحضارة الجديدة.

وعندما حضر عمرو بن العاص إلى مصر فاتحاً ليحرر مصر، ويحررها من القهر البيزنطي، وجد أن الذين يمثلون هوية مصر القومية وأصالتها، وهم الأقباط «اليعاقبة» - وحدهم

مضطهدين قد فروا إلى الصحارى والأديرة في عمق صعيد مصر [illegible] وجد [illegible] التمسك [illegible] [illegible] مذهب [illegible] المصريين [illegible] والمصريين [illegible] الفكري الروحي [illegible] وحدتهم [illegible] واستولوا على مؤسسات الفكر في مصر وسيطروا على الكنائس منذ صنيع عمرو بن العاص [illegible] «المفهوم» [illegible] وبعد [illegible] وقد [illegible] [illegible] [illegible] [[illegible]] من كنائس مصر ومؤسساتها اللاهوتية والفكرية وأعاد كل ذلك إلى قوم مصر اليعقوبية الأقباط، فعادت فكرية مصر القبطية يعقوبية في السيادة من جديد، ثم تعربت هذه الفكرية [illegible] ونحن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الكنيسة، ومن لم يسلم تعرب، وأسهم وأبدع مع من أسلم في هذا البناء الحضاري الجديد [illegible] الإسلام [illegible] الإسلام العقيدة، قد وقف عند حدود [illegible] أصحابه، وأسلموا [illegible] عقائد التي بشر بها محمد ﷺ منذ فجر البعثة [illegible] حضارة العربية الإسلامية [illegible] تطورت في عصر [illegible] ثمرة [illegible] كل الناس [illegible] وكل الذين طبعوا بهذه الهوية الحضارية [illegible] على اختلاف [illegible]

وهذه العروبة [illegible] وعمقها [illegible] وصمدت لكل التحديات، فالمماليك والعثمانيون، قد حكمونا [illegible] على القرون التي حكم [illegible] العرب الذين [illegible] وفي ظل حكمهم ظهرت دعوى التفرقة بين العروبة وبين «الإسلام» عندما زعمت السلطة أن العروبة تتناقض مع

والإسلام. [illegible] هذا رغم على [illegible] الشخصية و[illegible]
ستتصدع في ظل الدولة العثمانية إلى حد اضمحلال العروبة
والعربية، حتى لقد سعى الأتراك إلى تتريك الأمة العربية.

ثم رأينا في الجزائر الجهود الاستعمارية المحمومة لفرنسة
الشعب الجزائري عندما حاولت فرنسا تحويل الجزائر إلى امتداد
لأرض فرنسية عبر البحر المتوسط.

ورأينا الجهود التغريبية التي بدأت [illegible] بقوة واستمرارية
وانتظام وشمول [illegible] لحرب العربية وتراثها وفصلها وقطع
الروابط التي تجمعها [illegible] العربية والدين والأدب
فمرة يريدون كتابتها بالحروف اللاتينية ومرة يريدون استبدال
العامية بها، وفي كل الأحوال هم يشككون في أصالة تراثها
ويعزلون الإسلام عن عرش الحياة المدنية، وقد تم [illegible] على
هذه الجبهات كل [illegible] حرب العربية [illegible] بها
و[illegible] منها حتى وجدت خطباء ومتحدثين في أجهزة الإعلام
المسموعة والمرئية [illegible] في وسائل الإعلام المقروءة
[illegible] وتتقاطر عند [illegible] الفصحى باللغة العامية. ثم
لقد وصلت [illegible] الفصحى إلى [illegible] وخطباء
وعمد الشعر العربي، وعن القرآن الكريم والحديث الشريف على
ألسنة كثير من الخطباء.

ومع كل ذلك فقد وجدت هوية العروبة [illegible]
كل تلك التحديات، لقد كسبت في الجزائر [illegible] الأجداد والجواهر
وحققت [illegible] حتى [illegible] الجزائر مرة أخرى
إلى أحضان العروبة والإسلام.

ولكن تطور الظروف التي رأيناها قد اعتراف وتعريفه الوطن، ولم ينكر للهوية العروبة، فكيف حتى الذين بدأوا حياتهم الفكرية يبشرون بالتغريب قد عادوا وقد أصبحت بهم الأجيال؟

إن بعض الناس يتحدث بسطحية ويستبعد للأمور مثلا عن «حقبة كتابة الإسلاميات» في حياة أعلام ومفكرين من أمثال عباس محمود العقاد [١٣٠٦ - ١٣٨٤هـ = ١٨٨٩ - ١٩٦٤م] والدكتور طه حسين [١٣٠٦ - ١٣٩٣هـ = ١٨٨٩ - ١٩٧٣م] والدكتور محمد حسين هيكل [١٣٠٥ - ١٣٧٥هـ = ١٨٨٨ - ١٩٥٦م] يتحدث هذا البعض عن هذا النحو فيرجعه إلى أنهم قد صعدوا في السن وقاربوا خريف خصوبتهم نكسة تراجع عن العلمنة والتشرق والتغريب، وبدأت مرحلة الدروشة التي اقترنت بتصفية نتائج ثورية ثورة سنة ١٩١٩م التي أوقدت زند هؤلاء الأعلام، وبهذا - بنظر هذا البعض - قد دخلوا في مرحلة الهزيمة، يكتبون ما كتبوا في الإسلاميات.

وهذا الكلام السطحي والخبيث يذكرنا بما قاله هذا البعض في تفسير رفض رفاعة الطهطاوي لفلسفة أوربا، بأنه نقص وعيب وسببه الازدواج في الموقف والشخصية، ونحن نقول إن أصحاب هذه التفسيرات لم يتصوروا موضع الهزيمة في مسيرة هؤلاء الأعلام الذين بدأوا متغربين ثم عادوا إلى إطار العروبة والإسلام، كانت هناك هزيمة حقا، ولكنها كانت هزيمة

النموذج الحضاري الغربي الذي انكشف أثره ووضحت سلبياته وظهر طابعه الاستعلائي والعدواني فسقط القول بهيمنة هذا النموذج الحضاري الغربي على عقل الأمة ووقعه لن يثمر التحضر والقوة والتقدم التي كانوا يؤملونها من ورائه وإنما قد يستثمر تشويه الموروث وخصوصيته والقضاء على فعالية هذا الموروث، لتصبح الأمة راسفة في أغلال التبعية للمركز الأوروبي والغربي المسيطر في كل المجالات وبمختلف الميادين. لقد انهار النموذج الغربي في عقول هؤلاء المتغربين وفي وجدانهم وخابت آمالهم فيه فعادوا أدراجهم إلى أصولهم وموروثهم وفق عقيدتهم الأصلية والأولى. ولذلك فإننا ننظر إلى هذا التحول الذي تمثل في حقبة كتابة العقاد وطه حسين وهيكل للإسلاميات ننظر إليه كظاهرة صحية وكانتصار للموروث في صراعه ضد وافد التغريب. وفي هذا الضوء نحن نفهم مغزى أحداث فكرية حفلت بها حياة هؤلاء المفكرين والكتاب.

• فطه حسين كان يعتبر طبع كتبه بكر ... ثم بعد طبع كتابه [مستقبل الثقافة في مصر] أن السبيل في ... هو تجسيد هذا الكتاب لطه حسين المتغرب الذي يقرر ... وفلسفته الثقافية الغربية وصبغته في إطار العقل اللاتيني ... تسميه حضارة البحر المتوسط.

• ولطفي السيد [١٢٨٩ - ١٣٨٣هـ ١٨٧٢ - ١٩٦٣م] الذي بدا متغربا، ينكر العروبة القومية والسياسة وينكر «الجامعة الإسلامية» ... ويتحدث عنهما حديثه عن الاستعمار

لطفي السيد هذا قد عاد في أواخر حياته ينسحب عن تغريبه حتى إنه حديثا ينقض به ما كتبه عنه في مرحلة «التغريب» ومثل ذلك صنيع طه حسين بالنسبة لموقفه من العروبة والقومية العربية. لقد عادوا [illegible] المفكر العظيم إلى الموروث ونعوا عليهم «رواد التغريب» إلى حد كبير. وكانت هذه العودة الحميدة هي الصفحة التي طبعت بطابعها الحياة الفكرية لهؤلاء الأعلام الذين بدأوا متغربين. فهي إذن ظاهرة صحية عادت بها هؤلاء الأعلام إلى قواعدهم مرة أخرى.

وهذه الظاهرة الصحية التي حدثت في صفوف نفر من «المتغربين» الليبراليين، هي التي نبصر الآن بوادرها وعلامات عليها في صفوف نفر من المتغربين الماركسيين، فعلينا أن نحذر الخلط والتعسف في التفسير، فهي واحدة من علامات وظواهر النضج الفكري، وواحدة من علامات وظواهر الانتصار الذي يحققه «الموروث العربي الإسلامي» ضد «وافد التغريب» ليبراليا كان هذا الوافد أو شموليا.

ولندلل بمثال آخر على الهوية نقول: إننا أمة متدينة. وهذا الكلام - الذي يتردد كثيرا - ليس يعني أن التدين قسمة من قسمات الهوية التي تتميز بها منذ العربية الإسلامية والتدين هنا لا يعني الشعائر وحدها كما أنه لا يعني الدروشة، وإنما هو موقف من جوانب كثيرة منها:

■ الأسرة التي عدت وكانت وستظل في حضارتنا [illegible] حرمة مصونة، قد اكتسب معنى «الحرمة» في الدين

صحيح أن التغريب والتحديث على النمط الغربي قد وجه الكثير من السهام إلى هذا البناء الأسري المتميز، وأصاب هذا الحرم المصون، بما سعت أحيانا على الأسس فتفككت روابط كانت محكمة العرى، وصغرت الأسرة التي كانت ممتدة [illegible] لكننا نلحظ صحوة للنظرة السائدة، والتي تصنع هذه الظواهر المرضية في إطار الأمراض التي لا بد من السعي إلى البرء منها، وفي صدر السطور الذي نحب أن يعني مكانه ستسود القاعدة، قاعدة الأسرة باعتبارها الحرم المصون والمصان.

ولقد أدرك أعداء هذه الأمة ما للأسرة من مكان ومكانة في هوية الأمة وشخصيتها فحاولوا، وهم يحاولون قوانينها الإسلامي من عمر عرش المؤسسة القضائية من تعميم ذلك في مجتمع المسلمين الذي يحكم شئون الأسرة فتركوا قوانين الأحوال الشخصية على حالها ليس من باب التسامح ولا حبا في الشريعة، ولا سعيا لدعم بناء الأسرة المسلمة وإنما محافظة للثورة التي توقعوها إن هم مسوا هوية الأمة الحضارية في منطقة حساسة تلعب في الحساسية إلى مرتبة الحرم المصون.

■ والقيم والأخلاقيات هي الأخرى من ثوابت الهوية التي اصطبغت بالطابع القدسي للدين والتدين وإلا فهي قيما كبيرة يقيسون التفاضل بمقاييسه المادية، على نحو ما هو حادث في الحضارة الغربية.

قد يكون التغريب والتحديث على النمط الغربي قد حدث في واقعنا شيء من ذلك يمر في المدن، وشيء في الريف

لكن الجميع يتحدثون عن الشرعية والمشروعية ويتطلعون به
مصيرهم إلى السدود عن القاعدة وإلى الفرص التي يرحلون منه
سفهاء وإلى التيه الخارج عن النسق العام والانساق عقلون

• من أن فلسفة التدبير للتمدن في حضارتنا رحمه تستدعي الانتباه وتستحق الدراسة الخاصة والمتخصصة فقد تعدى أثر التدبير إطار القيم والأخلاقيات والعلاقات الاجتماعية ليصل إلى ميدان العلوم الطبيعية وتطبيقاتها فعرفت حضارتنا ما نسميه بـ الروح المؤمنة التي سرت لا في علوم الشرع وحدها فهو طبيعي ووارد ومألوف وإنما في العلوم العقلية أيضا التي تتسق في المنطلق والمنهج والغاية مع علوم الشرع بل لقد سعت هذه الروح المؤمنة في العلوم الطبيعية التي تمت كعبادة لله يقدمها العلماء سعيا لاكتشاف سنن الله في كونه وسننه في مكوناته فإذا ما طبقوها تراهم قد ربطوا الوسائل بالغايات مستهدفين من تطبيقاتها تلك السعادة الدنيوية لتحقق بها تلك التي بدونها لن يستطيع تحقيق عبادة الحق بعمران الكون الذي شاء الله أن يعمروه

ونحن نسأل هنا ماذا يعني إسلام مفكر فيلسوف مثل روجيه جارودي؟ وأهم من هذا ماذا يعني بالنسبة لقضية الإسلام بأنه قد وجد فيه الدين الذي جعل الحضارة الإسلامية مرتبطة فيها العلوم والمعارف بالحكمة والعقيدة لتشكل نسيجا نامٍ عميق

إن الذين يدرسون تراثنا العلمي سيلحظون سيطرة الروح المؤمنة على كتاب هذا التراث، ونلحظها لحقيقته وبطريقته فحتى في قوانين هذه العلوم غير عرضية ولا بعيدة عن الإيمان، فإذا قرأت من تراثنا كتب في [الأحجار والجيولوجيا] نجد المؤلف يبدأ هذه الكتب بـ [بسم الله الرحمن الرحيم] وبـ [الحمد لله] فإذا فرغ من سطر قال [والله أعلم]

وابن حزم الأندلسي [٣٨٤ - ٤٥٦هـ = ٩٩٤ - ١٠٦٤م] يؤلف في الحب كتابه البديع [طوق الحمامة] فيبدأ كتابه في الحب بداية الفقيه الذي يكتب في الإلهيات

وابن سينا [٣٧٠ - ٤٢٨هـ = ٩٨٠ - ١٠٣٧م] وهو الفيلسوف الطبيعي يقرأ كتاب أرسطو [ما بعد الطبيعة] فيستعصي عليه فهمه، ثم يعاود المحاولة حتى يقع في يده كتاب الفارابي [٢٦٠ - ٣٣٩هـ = ٨٧٤ - ٩٥٠م] تحرير به المعاني ويعينه على فهم [ما بعد الطبيعة] فماذا وجد ما قد صنع هذا العقل المتفلسف؟ لقد وضع كتبه وأوراقه جانبا وأخذ شيئا من نقوده، وغادر منزله باحثا عن الفقراء والمساكين ليتصدق عليهم شكرًا لله الذي أعانه على فهم [ما بعد الطبيعة] لأرسطو

إن هذه المواقف الأمثلة بالغة الدلالة على هذا الذي نقول أن حضارتنا العربية الإسلامية هي حضارة مؤمنة بكل تأكيد لتدين منها أي ما هو أبعد من الشعائر والقيم والأخلاقيات والمعاملات فيسري بروحه المؤمنة في العلوم حتى ما كان منها خاصا بالطبيعة، وفي تطبيقات هذه العلوم

هذا عن حضارتنا العربية الإسلامية.

أما الذين يقرءون مؤلفات الحضارة الغربية في العلوم الطبيعية فإنهم لن يجدوا «للروح المؤمنة» أثرا، بل إنهم سيجدون النقيض على نحو أكيد. فهذه المؤلفات قد لا تتحدث عن الإلحاد ولا تتحدث في إنكار وجود خالق صانع وقادر في هذا الكون، ولا تدعو إلى الهرطقة والزندقة، ولكنها تصطحب القارئ من البداية إلى النهاية فتقف بعقله عند حدود المحسوس والأسباب والمسببات في إطار هذا المحسوس. وفي خلال ذلك كله فإنها لا تشعر القارئ بوجود قوة خالقة وراء هذا المحسوس، بل ولا بالحاجة إلى وجود هذه القوة. إن هذه المؤلفات حتى إذا لم تنكر صراحة وجود هذه القوة الخالقة فإنها ترسب في الذهن الإنساني تصورا بكون لا يحتاج الإنسان في إدراكه إلى أكثر من الأسباب والمسببات المادية التي يجدها ويلمسها أمام حواسه. وهذا المنهج الغربي وهذه الروح الغربية تكون العقلية غير المؤمنة. ولذلك فإننا حين نتحدث عن الروح المؤمنة والتوحيدية لحضارتنا العربية لا نقف بمقصدنا فقط عند الطابع الديني في القيم والأخلاقيات وإنما نقصد إلى ما أشرنا إليه من سريان «الروح المؤمنة» في التراث العلمي للحضارة العربية، الأمر الذي ميزها وسيميز حضارتنا العربية الإسلامية التي تميزت بروحها المؤمنة تسري في كل العلوم والفنون وسائر الميادين والمجالات.

فنحن عندما نقول إن لحضارتنا تميزا بـ«الروح المؤمنة» التي هي أثر من آثار «التدين» في هويتنا الحضارية عندما

يقول ذلك لا "تشريشاً" وإنما يقصد إلى ما قصد إليه جمال الدين الأفغاني عندما تحدث عن الشرق ، فلسفته و بالحكمة والنظرة التي صبغ بها إنسان حضارتنا العربي المسلم فهو حتى لو مرق من دينه وتزندق واحد من مئة من الدين وتنويره ظل مصبوغاً بصبغته مثله في ذلك كمثل أثر الجرح في الجسم بعد الشفاء والاندمال. فهذا الإنسان لا يستطيع الخروج من جلده كما يقولون.

والوسطية التي هي كلمة السر في حضارتنا الهوية ، وواحدة من قسمات الثوابت. والوسطية هنا لا تعني المعنى السوقي الذي شاع بين العامة من المثقفين والسياسيين لهذا المصطلح المظلوم! لا تعني انعدام الوضوح والحسم والموقف المحدد واللعب على مختلف الحبال وإمساك العصا من منتصفها الخ.. وإنما تعني الوسطية في المفهوم الإسلامي "الأمة الوسط" و"الموقف الوسط" الذي هو عدل بين ظلمين وحق بين باطلين والاعتدال بين تطرفين ليس بالمعنى الأرسطي الذي يجعل الفضيلة وسطاً بين رذيلتين بحسبان وجود مسافة عن يمين الفضيلة وعن يسارها متساوية تفصل بينها وبينهما وإنما بمعنى اشتمال الموقف الوسط على محاسن القطبين المتقابلين التي يمكن جمعها والتأليف بينها. فالعقلانية الإسلامية موقف وسط ليس بمعنى التوسط بين العقل وبين النقل، وإنما بمعنى التأليف بين براهين العقل و"النقل" جميعاً. و"العالمية الإسلامية" موقف وسط ليس

بمعنى التوسط بين المادة والروح وإنما بمعنى الجمع بين محاسنهما والضرورى منهما لخلق الإنسان السوى و«الشخصية الإسلامية» شخصية وسط لا بمعنى انعدام [illegible] وإنما بمعنى جمعها بين فضائل الجسد و[illegible] الروح وفضائل الدنيا و«الآخرة». وفضائل الدين و الدنيا وفضائل الفردية و«الجماعية» إلخ إلخ

[illegible] هو معنى «الوسطية» التي هي روح الحضارة العربية الإسلامية ومزاجها [illegible] أحياناً [illegible] نجد في التراث الفلسفى للحضارة العربية تياراً مادياً ملحداً منذ اليونان وحتى العصر الحديث وهذا التيار قديم وعريق [illegible] على ماركس [١٨١٧ - ١٨٨٣م] وعلى الماركسية كما يعرف الجميع [illegible] لا نجد في التراث الفلسفى لحضارتنا العربية الإسلامية هذا [illegible] المادى المحض؟ وهل بمصادفة هي [illegible] وقفت خلفه؟! لا أعتقد.. ولا أظن وإنما مرجع هذا الافتراق [illegible] إلى [illegible] حضارتنا [illegible] روح الوسطية. وبسبب هذه الوسطية التي وازنت ما بين «النقل» و«العقل» فأصبح لنا «عقلانية إسلامية» تميزت عن «العقلانية اليونانية» التي لم تعرف «النقل الوحى» [illegible] هذا [illegible] متميزة

وإنه لأمر يستحق النظر والتأمل، بل [illegible] وهو [illegible] نجد أغلب الفلاسفة والمتكلمين والمفكرين المسلمين [illegible] قدم العالم»، وهم، في ذات الوقت مؤمنون [illegible] العالم القديم لقد جمعوا بالمنهج الوسطى [illegible]

للتلفيق بين القول بقدم العالم، وبين الإيمان بحدوث [illegible] بهذا
[illegible] على خير وجه [illegible] بات القضية هي التي شغلت الفكر
في الحضارة العربية تاريخيا إلى تجربة [illegible] وحتى
والذين قالوا بقدم المادة أنكروا وجود الخالق لأنهم رأوهما
ضدين لا يجتمعان ولا يلتقيان، أما الذين قالوا بوجود الخالق
فقد أنكروا قدم المادة لأن الأمرين عندهم أيضا ضدان لا
يجتمعان ولا يلتقيان. ولقد تكون من الأولين التيار المادي
ومن الآخرين التيار المثالي على النحو المألوف والمعروف
لدارسي الفلسفة الغربية.

أما في حضارتنا التي تميزت بالوسطية حضارة الأمة
الوسط فقد [illegible] الحقيقتين ووجدنا [المعجزة] مثلا عندما
يقولون بالخلق من العدم يبنون على [illegible] بقدم [illegible] شيء
ووجدنا ابن رشد مثلا يقول إنه قبل الوجود بالفعل يكون
الوجود بالقوة وإن الخلق هو الخلق المستمر الذي يتحول
به الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل [illegible] والوجود بالفعل [illegible]
وجود بالقوة وهكذا باستمرار نحو دائم لا ينتهي في هذا
الوجود كما يقول [illegible] قديم وذلك فلا [illegible] يكون [illegible]
العالم كذلك أيضا وهو [illegible] المعنى الذي يعبر عنه الإمام محمد
عبده بقوله [illegible] كمال الله [illegible]

هكذا وجدنا في الحضارة العربية تراثا [illegible] منهجا [illegible]
ومستمرا عبر تاريخها الطويل [illegible] [illegible]
ولا شبيه في تاريخ الفكر الفلسفي [illegible]

إن [illegible] هو معيار الحضارات [illegible] التي هي مرآة حضاري مختلف، [illegible] حضارات [illegible] [illegible] وفلسفة الدين.

فالمعتزلة وهم رواد وصناع علم الكلام الإسلامي الذي هو فلسفة الإسلام والذين مثلوا فرسان العقلانية الإسلامية، هم الذين أسسوا فلسفتنا على [illegible] الدين [illegible] [illegible] فلسفته مع النهج في الحضارة العربية [illegible] [illegible] بينهما الحروب.

وهؤلاء المعتزلة عندما [illegible] خصومهم من [illegible] النصوصيين [illegible] الأدلة الثلاثة هي الكتاب والسنة والإجماع قالوا لهم [illegible] [illegible] هي [illegible] [illegible] الكتاب والسنة والإجماع وعلموا ذلك بالحاجة إلى العقل كقاض حاكم في التفسير [illegible] [illegible] والمقيد، والخاص والعام إلخ إلخ من آيات الكتاب. لأن هذا الكتاب الذي هو معجزة الإسلام والذي هو [illegible] [illegible] معجزة عقلية [illegible] على العقل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الحاكم فيها ولم [illegible] [illegible] [illegible] هذا العقل وإخراجه عن الأطر التي أحكمتها وتحكمها [illegible]

فنحن هنا أمام [illegible] [illegible] وهي [illegible] [illegible] عن الفلسفة أمام منظومة فكرية ومزاج حضاري [illegible] [illegible] الحضارات والحضارة العربية على وجه [illegible] [illegible] بينها وبين كثير من الحضارات

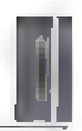
نحن نعرف أن المسيحية الأولى قد [illegible] «في الصوفية المسالمة وفي السلام الصوفي» إلى حد الدعوة إلى إدارة الظهر للدنيا، ومن ضربك على خدك الأيمن، فأدر له خدك الأيسر، ومن غصبك ثوبك، فأعطه القميص!.. إلخ.. إلخ

ونعرف أن الحضارة الهندية قد غلت في تصوفها حد الدعوة لإفناء الجسد، بل لقد تعبدت بتعذيبه

أما الحضارة الغربية فإن روحها المادية النفعية قد صبغت العالم، سائدة فيها السيادة المطلقة، وفي كل الميادين، حتى لقد صوغت المسيحية المتصوفة فغدت فيها طقوسًا وشعائر لا علاقة لها بالصورة المثالية التي بدأت عليها

لكن حضارتنا، كما وضحنا، قد تميزت بالمزج الوسطي المتسق الذي وازن ويوازن بين ما حسبه الآخرون - في الحضارات الأخرى - متناقضات لا سبيل إلى الجمع بينها فضلاً عن التأليف والتوفيق

هكذا أصبح باستطاعتنا أن نقول إن سمات هذا المنهج «العربي» و«الديني» و«الوسطية»، إنما تمثل، في حضارتنا «هوية».. وأن علينا أن نتخذ منها معيار لصلاح أو عدم صلاح وصحة أو عدم صحة أي وافد حضاري.. وأي «موروث» قديم



التشكيك فى ثبات الهوية

لكن [illegible] قد [illegible] تسميته [illegible] و هويته [illegible] لا
يستعصي على التصور والتعبير ولقد [illegible] بعض الأصدقاء
مثلا [illegible] على [illegible]
[illegible]

وأنا أقول إن الأمر ليس [illegible] ولذلك فإننا ادعو إلى
[illegible] هذه الحقائق [illegible]
[illegible]

■ [illegible] كونفوشيوس [٥٥١ - [illegible] م] [illegible]
[illegible]

■ [illegible]
[illegible]

■ [illegible]
[illegible]

حدث ذلك ولا يزال يحدث رغم القرون الطوال، ورغم عوامل التطور والتغير، الداخلية منها والخارجية.. الأمر الذي يحقق معتقد ثبات بناء التوحيد.. والهوية.. ولسنا إزاء متغيرات.

■ وتركيا.. والإسلام هويتها.. لقد حاول كمال أتاتورك [١٢٩٨ - ١٣٥٧هـ = ١٨٨١ - ١٩٣٨م] بناءً على عوامل داخلية وخارجية.. أن يخرج الإسلام جانبًا، وفرض العلمانية على تركيا، ومر على ذلك قرابة قرن.. والآن نسأل: ما هي تركيا التي تعلمنت؟.. فيها شريحة محدودة جدًا.. وأنتم ترون الآن البعث الإسلامي الذي يهز تركيا هزًا عنيفًا.. وما الانقلاب الفاشستي الذي قاده جنرالات حلف الأطلنطي، بقيادة أمريكا في منتصف ثمانينيات القرن العشرين إلا نموذج لمحاولات بغرض الحيلولة بين الإسلام وبين السيادة في هذه البلاد من جديد.

● والخديو إسماعيل [١٢٤٥ - ١٣١٢هـ = ١٨٣٠ - ١٨٩٥م] في مصر.. قد عبر عن مصر أيام كانت قطعة من أوربا في عصره، ثم جاء الاستعمار فأسرع يحط على بلاد الشرق، ومن ثم تربع الغرب على سيادة المنهج في مصر.. ولنا أن نسأل: ما هي مصر تلك التي أصبحت قطعة من أوربا.. وأين مصر تلك التي استعصت على أن تصبح قطعة من أوربا.. إن الشريحة التي تغربت هي التي ذهبت إليها وظنت أنها قد أصبحت جزءًا من أوربا، أما جسد الأمة الحقيقي فإنه لم ولن يصبح قطعة من أوربا، وعندما يجد الجد وتحدق بالأمة الخطوب ينطق وجدان

لأمة عربية بنشيد بلادي بلادي، وتعتبر الإسلام
هو العنصر الذي تنحصر به وتبرز هويته كبلد المسلم
الذي يستند إليه ويرتكز على تحولات النسب والنسبة والتسوية
بين ويستنتج يوما بعد يوم من شريحة متغربة فضلا
الأمية، يعودون إلى قواعد هويتهم الحضارية لبرابرة
كانوا في تعريبهم أو شموليين!

إن هذا ما نسميه بـ«الهوية» هو الجوهر والنواة
والبصمة والمزاج، والروح في هذه الحضارة، وليس من السهل
اقتلاعها لأنها من الثوابت وليست من المتغيرات وقد تستمد
الضعف وتعابير المقاوم والمعاكس لها فتختفي كامنة
تنتظر فرصة الهزة أو الزلزال لتبرز وتسود من جديد

والذين قرءوا تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية يعلمون كيف
سارت سياسة الفرنسة شوطا كبيرا على درب الدمج حتى خيل
لأنصارها أن الجزائر قد غدت بالفعل الامتداد الطبيعي الفرنسي
لفرنسا [الأم] عبر البحر المتوسط، ويعلمون كيف كتب واحد من هؤلاء
المتغربين، الذين اندمجوا في فرنسا الأم يسخر من فكرة وجود
جزائر عربية مسلمة متميزة عن «فرنسا الأم»، فعنون مقاله
في حقبة الثلاثينات من القرن العشرين بعبارة [من يدني
على وطن اسمه الجزائر]!

وهؤلاء الذين قرءوا تاريخ الجزائر يعلمون كيف أن هذه
الكلمات التي عبرت عن شريحة التي تغربت وتفرنست لم تمثر

لا بالوهم السطحي الذي علا لحين جوهر هوية البلد، فلقد كانت محروسة وكل الأعلام هويته الجزائر. كمنت حينا ثم انصفقت في رحب الوهم، وحققت الجزائر النصر الذي تعرفون، ولم يفلح معها كل ما صنعه الاستعمار على امتداد أكثر من قرن من تطوير وتغيير.

التفاعل الحضارى

والوعي عن تجربة [illegible] كما سبق أن ذكرت هو أن [illegible] التفاعل الحضاري هو موقف مختلف تماماً عن الانغلاق أو العداء الحضاري، فرفض الانفتاح على الحضارات الأخرى هو موقف ضار فضلاً عن أنه غير ممكن في ظروف ثورة تقنية الاتصالات والتواصل التي تزداد فعاليتها في العصر الذي نعيش فيه.

إن التفاعل الحضاري إنما ينطلق من حقيقة موضوعية تؤكد وجود سمات وخصائص وقسمات تمايز ما بين الحضارات العتيقة والعريقة تعبيراً عن تمايز الشخصيات القومية والتكوينات التاريخية لأمم تلك الحضارات. ولقد أثبتت سير التاريخ الإنساني ولا تزال تثبت وتؤكد أن هذا التمايز لم يمنع من التقاء هذه الحضارات وتفاعلها وأن هذا التفاعل عندما كان صحيحاً ومن موقع الاستقلال لا التبعية وبنهج راشد ورشيد كانت ثمرته طيبة وخيرة بل وضرورية لمختلف الأطراف وكانت نتيجته دعماً للتمايز وليس إلغاء له وفقاً للانغلاق الذي يحمل مخاطر الجمود والضمور والانقراض للحضارة التي تسلك سبيل الانغلاق

بين بالنظر إلى حضارتنا في وضعها الراهن التي فرضت

عليها عدة تحديات كبيرة من بين التخلف الموروث من

عصور التراجع والانحطاط السلوكية المتتالية ومن بين

تحديات التي جاءت بها الغزوة الاستعمارية الحديثة فصحيح

أن هذه التحديات قد كادت أن تجرف حضارتنا عن مسارها على

أصالتها وذلك اقتلاعها اقتلاعا لصالح النموذج الحضاري

الغربي تحت زعم أنه النموذج العصري القادر على تحديث

الحياة وتغيير «التخلف الموروث»

وإذا كنا نرفض «التبعية» للنموذج الغربي، حرصا على

استقلالنا الحضاري ويقينا منا بأن صلاحيته في بلاده وهي

صلاحية يتشكك الغربيون فيها الآن لا تؤهله للصلاحية في

بلادنا فإننا نرفض، كذلك، أن يكون التخلف الموروث هو

البديل للتغريب فهذا التخلف الموروث لا يعبر عن ثوابت

حضارتنا وخصائصها لأنه في عمومه وافد سلوكا أو عادات

وركام من الخرافات والتقاليد صنعته عصور التدهور فهو نتوءات

عن المجرى الطبيعي لتطورنا الحضاري الأصيل

وإذ نرفض رفض التخلف الموروث ونرفض «التغريب»

نضعه على عاتق الفكر العربي والإسلامي تقع مهمته الأكبر والأعظم

مهمة التجديد الحضاري بلورة المشروع الحضاري النهضوي البديل

وانطلاقا من الاحتفاظ بهويتنا، نبحث في الحضارات

الأخرى عن «عوامل القوة» التي تدعم استقلال هذه الهوية ولا

تطمسها والتي تزيد هذه الهوية فعالية ولا تضعفها ولي

تخرج هذه الهوية من الكمون والوجود بالقوة إلى النهضة والوجود بالفعل، انطلاقا من هذين المصدرين: الخصوصية من [illegible] في ضوء فقه الواقع المعاصر والتحديات التي تواجه الأمة، وتستلهم إمكاناتها، وتستنفر طاقاتها، وتحشد [illegible] للتحقق والانطلاق. ثم تأتي بعد استخلاص الهوية من «الموروث» ضرورة الأخذ عن الحضارات الأخرى عن «وعي وقوة»، حتى يكتمل بناء المشروع النهضوي الكامل [illegible]

وإذا كان بعض من الإسلاميين الخصوصيين يتشكك ويشكك في الإسلامية وجدوى أي انفتاح على الحضارات الأخرى والاستفادة من هذه الحضارات.

وإذا كان بعض من «المتغربين» يتشكك ويشكك في قدرة «الإسلاميين» بإطلاق على ممارسة الانفتاح الحضاري، فإن [illegible] من ضرورة التفاعل الحضاري، ليس كلاما غريبا على النسيج الفكري الإسلامي، ولا هو بالحديث الجديد غير المسبوق، بل إن هذا الموقف هو الموقف الفكري الإسلامي [illegible] والأصيل.

■ فرسول الله ﷺ من قبل أربعة عشر قرنا هو [illegible] «الحكمة» [illegible] في عين المؤمن [illegible] وعموميتها [illegible] للإصابة وللحكمة.

وهو ﷺ الذي يعلم [illegible] ضرورة [illegible] الحكمة من مصادرها [illegible] على المواطن والمعتقدات [illegible]

الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، وحيث وجدها فهو أحق الناس بها.

■ وفقهاء الإسلام هم الذين شرعوا لضرورة الاستمرارية في مسيرة الفكر الإنساني، فقالوا: «إن شريعة من قبلنا شريعة لنا ما لم تنسخ»، فليست هناك حواجز تمنعنا من أن نضيف التجارب الأخرى وأن نستلهم مواقف [illegible]، وأن نسعى إلى الوافد الصحي والضروري الذي يقوي استقلالنا ويدعم خصوصيتنا وذاتيتنا.

■ والكندي الفيلسوف [٢٦٠هـ ـ ٨٧٣م] هو القائل: حقيق بنا ألا نستحي من الاعتراف بالحقيقة واقتباسها مهما كان مصدرها.

■ وابن رشد [٥٢٠ ـ ٥٩٥هـ ـ ١٠٢٦ ـ ١١٩٨م] يقول: إنه يجب علينا أن نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا في ذلك، سواء أكان مشاركًا لنا في الملة أو غير مشارك، طالما كان صوابًا.

■ وجمال الدين الأفغاني [١٢٥٤ ـ ١٣١٤هـ = ١٨٣٨ ـ ١٨٩٧م] هو القائل: إن العلم وإنه هو [illegible] [illegible] ولا [illegible] بالحقيقة [illegible] حيث توجد [illegible].

«والتمدن الأوربي هو في الحقيقة نتيجة للقوانين التي تسير عليها نظام الطبيعة وسير الاجتماع الإنساني، ولا مانع للشرقي، في نهضته، أن يقف موقف الأوربي في نهضته، ولا بد من التمسك ببعض الأصول التي كان عليها آباء الشرقيين وأسلافهم. أما المحذور فإنهم يشوهون وجه الأمة ويضيعون

ثروتها، ويحطون من شأنها [illegible] يمهدون لهم السبيل، ويفتحون لهم الأبواب.

■ ورفاعة الطهطاوي [١٢١٦ - ١٢٩٠هـ = ١٨٠١ - ١٨٧٣م] هو الذي يقول: «[illegible] المعارف البشرية المدنية، والعلوم الحكمية العملية [illegible] وفلسفتهم فهي [illegible] الضلالية، المخالفة لسائر الكتب السماوية...»

وعلى هذا الدرب سار رواد المد الإسلامي المعاصر

■ فكتب حسن البنا [١٣٢٤ - ١٣٦٨هـ = ١٩٠٦ - ١٩٤٩م] وهو الذي رفض ما في الحضارة الغربية من [illegible] والإلحاد وشيوع الإباحية والربا [illegible] كتب يقول: «إن صبغة الإسلام، التي تساير العصور والأمم، وتتسع لكل الأغراض والمطالب، لا تمنع أبداً الاستفادة من كل نظام صالح لا يتعارض مع قواعد الإسلام الكلية وأصوله العامة... إنه يدعو إلى الأخذ من كل شيء أحسنه [illegible] الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها. ولا يمنع أن تقتبس الأمة الإسلامية الخير من أي مكان. فليس هناك ما يمنع من أن ننقل كل نافع مقتبس من غيرنا ونصبغه وفق قواعد ديننا ونظام حياتنا [illegible]»

■ والمودودي [١٣٢١ - ١٣٩٩هـ = ١٩٠٣ - ١٩٧٩م] - وهو من أبرز من انتقد الطابع المادي للحضارة الغربية - هو القائل: «إن موقف الإسلام من الأخذ والعطاء بين الحضارات هو شيء

تنطوي في الأمم التي تحتك بعضها ببعض فهو لا يحجزه تقف بين يريد له الازدهار. فالإسلام لا يريد لجدران التعصب بين الأمم أن تبقى قائمة، فلا تنتفع في حضارتها من أمة أخرى شيئًا.

● وسيد قطب [١٣٢٤ - ١٣٨٦هـ = ١٩٠٦ - ١٩٦٦م] وهو الذي سمى الحضارة الغربية «الجاهلية الجديدة» يريد أن ندعو إلى الإسلام «كتصور مستقل للوجود وللحياة، ينبثق منه للمسلمين منهج أتى يشمل الحياة كلها».

وفي ذات الوقت، يدعو سيد قطب إلى ... الأخذ عن الحضارة الغربية علومها الطبيعية التي هي ... «وليدة العبقرية الأوربية في الإبداع المادي».

* * *

إن ليس هناك خلاف في حضارتنا على ضرورة التفاعل الحضاري ... منذ عهد الرسول ﷺ إلى الفقهاء والفلاسفة ورواد التجديد والصحوة الإسلامية ومرورًا بتجربة هذه الحضارة في التفاعل مع غيرها من الحضارات ... ليس هناك خلاف حول هذا الموضوع لعدم ... الاجتماع ... في حضارتنا على ضرورة التمييز بين هوية الأمة التي تميزها حضارتها، وبين «العلوم القائمة» على الحقائق والقوانين وتطبيقاتها، وهي التي لا وطن لها ولا جنس، ولا تتشكل بأشكال البيئات الحضارية المتمايزة.

فالهوية لابد وأن نبحث عنها في «الموروث» والعلوم الطبيعية وتطبيقاتها وما هو صالح ومفيد وضروري من

للحضارة الإنسانية وكل ما يمثل الحضارة قوة للهوية الحضارية المتميزة لأمة ما تسعى إلى تنميتها وتنقيته وتوظفه لخدمة المشروع الحضاري المتميز، وخدمة الهوية الحضارية المتميزة.

فليس هناك من خلاف إذن حول ضرورة الانفتاح على الحضارات، وضرورة التفاعل مع تعدد الحضارات من موقع الراسخ المستقل، وإنما الخلاف كل الخلاف هو مع دعاة الأحادية الحضارية، الذين يزعمون -لتبرير هذه الهيمنة- أن الحضارة الغربية هي الحضارة الإنسانية والعالمية والعصرية الوحيدة، وأنها النموذج الوحيد للتحضر والتحديث، وهم لذلك ينكرون التعددية الحضارية والتمايز الحضاري.. إن الخلاف كل الخلاف هو مع هذه المقولة المغلوطة والدعوى الخطرة والباطلة.

إننا -وقد وضعنا أيدينا على الوحدة الحضارية التي تعني- في المعاصر تستحق هذه الدراسات الحضارية وتعددية في الحضارة، فهم يعنون الذين يزعمون وحدة الحضارة التي هي في نظرهم الحضارة الغربية ما كتبه سياسي الاستعمار الأمريكي جون فوستر دالاس [١٨٨٨ - ١٩٥٩م] عن وحدة الحضارة الغربية، التي لم تمنع في نظره الدعوة الصهيونية وحركتها وكيانها العنصري الاستيطاني الذي أقامته في فلسطين! هل يعلمون ذلك؟ وإذا علموا فهل يصلون على دعوتهم لأمتنا العربية الإسلامية إلى «التحضر» بذات الحضارة التي تجمع مع

التي [illegible] و [illegible] و [illegible] وهذا [illegible] الوضع
الحضاري الذي [illegible] الخصوصية الاكثر [illegible] المعروفة بالاسلام.

* * *

إننا لا نؤمن [illegible] في الموقف تجاه الموروث [illegible] الموقف
فالموقف الحضاري [illegible] يحتاج للفحص والانتقاء والاختيار
والمعيار هنا هو مدى ما يمثله من عناصر قوة تتسق مع طبيعة
الحضاري ونريد هذا العنصر قوة دافعة على ان يكون بلا [illegible] سبيلا
للتقدم والنهوض [illegible] موروثنا فهو [illegible] الحضارية [illegible]
اسلافنا العظام ومظهر عبقرية امتنا ومجلى الخصائص التي تميز
حضارتنا العربية الاسلامية عن غيرها من الحضارات

وهذا الموروث [illegible] الذي يمثل الاسلام مكونه الاول ومصدر
اصالته والمحك فيه [illegible] ليس تاريخا مضى وانقضى ولا اكفان
موتى ولا قيود تشد الحاضر الى ماض سحيق وانما هو طاقة
مبدعة وخلاقة وروح سارية في عقل الامة ووجدانها وإذا كان
تمايزنا الحضاري، وعدوانية الحضارة الغربية، يفرضان علينا
الحذر عندما ننظر في «الوافد» الحضاري [illegible] لا [illegible]
«التجديد» هو سبيلنا المأمون الى تمييز الثوابت من
«المتغيرات» في موروثنا وفرز [illegible] من [illegible]
فبالتجديد وحده تعود الحياة لهذا الموروث [illegible]
فتتحقق الاستمرارية الحضارية دونما قيود على توجهنا
وتطورنا الى الامام

نحو مشروع حضارى متميز..

ونحن نؤمن بأن «النهضة» - بكل ما تعني من تغيير شامل وجذري - هي سبيل امتنا الوحيد لعبور ما يفرضه عليها الأعداء من تحديات، ونؤمن كذلك بأن المهمة الملحة لحركتنا الفكرية هي بلورة المشروع الحضارى الذي هو أساس هذه النهضة، وإذا كنا لا نزعم أننا نملك كل الوضوح الذي نوقف بصورة معالم هذا المشروع والذي نعتقد أن صياغته لا بد وأن تكون ثمرة عمل جماعي كبير - فإننا ندعو كل المؤمنين بتميزنا الحضاري، والمدركين لأهمية وضرورة استقلال أمتنا الحضاري، ندعوهم إلى الإسهام في بلورة ملامح هذا المشروع الذي هو طوق النجاة لهذه الأمة من مخاطر الجمود والتخلف الموروث.. ومن مخاطر المسخ القومي والمسخ الحضاري والتشوه الفكري الذي تمارسه الحضارة الغربية مع حضارتنا وكل حضارات الأمم التي ابتليت بالاستعمار والتغريب.

وفي إطار هذه المهمة الفكرية، فربما كان مفيدًا أن نضع أمام العقل العربي والمسلم «نقاطًا» هي أشبه ما تكون بـ«رؤوس

الموضوعات، والمحاور التي نعتقد ضرورتها في قسمات صورة ذلك المشروع الحضاري العربي الإسلامي الجديد:

■ إنه يدعو إلى تأكيد "التوحيد" باعتباره فلسفة الأمة وروح حضارتها، والبوصلة الموجهة لعقلها في نظرتها للكون وفي الألوهية والعمران، وفي التأليف الوطني والقومي والإسلامي. فالتوحيد ملمح من أبرز ملامح حضارتنا – بل لا نغالي إذا قلنا: إنها حضارة التوحيد؛ إنه ملمح تميز ملامح حضارتنا به تميزت، وبه جاءت دياناتها السماوية جميعا. فحتى نجده في تراث مصر القديمة عند إخناتون [١٣٦٩ - ١٣٥٣ ق.م] الذي تحدثت عنه النصوص عن الله الواحد خالق الكون كله، إنه جزء من موروث حضارتنا، حيث ... من تعدد الآلهة القديمة، وبه تميزت عن صورة التوحيد في [العهد القديم] تلك التي جعلت "التوحيد" أقرب ما يكون إلى الوحدانية؛ فالله عندهم هو إله لبني إسرائيل وحدهم، أما الشعوب الأخرى فلها آلهتها الخاصة بها.

وحتى وثنية العرب القديمة في جاهليتهم التي سبقت الإسلام، فإنها كانت "انحرافا" عن جوهر ونقاء هذا "التوحيد":

﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾ (١)

﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (٢)

وهذه الروح التوحيدية التي سرت في روح حضارة الشرق ... "الهوية" وسواتت من مقومات هي التي جعلت

(١) لقمان ٢٥ (٢) الزمر ٣

المسيحية تعجز عن تلبية احتياجات الأسس الشرقية الاعتقادية، بعدما أصابتها التأثيرات الهلينية بما أخرجها من الإطار النقي للتوحيد؛ فكان دخول شعوب الشرق في دين الله -الإسلام- أفواجًا، دونما إكراه بالترغيب أو الترهيب، رغم حرية الاعتقاد التي أبقت المؤسسات الكنسية وما لها من تراث في الجدل وخبرات في التبشير. فلقد كان التوحيد الإسلامي، الذي بلغ الذروة في البساطة والنقاء، والذي أعاد إلى هذه العقيدة -التي هي جوهر الدين- صفاءها ونقاءها كان؛ هذا «التوحيد» هو «الهوية» التي أعادت شريعة الإسلام الكشف عن جوهرها والتي حددت الأسس الشرعي لها.

ولذلك فنحن ندعو إلى تأمل هذا «التوحيد» ودوره وإمكانياته التي من الممكن أن يكشف عنها مشروعنا الحضاري المنشود.

• وندعو إلى تأمل «العروبة» بمعناها الحضاري غير العرقي أو العنصري، وتأمل العلاقة العضوية التي تربطها بالإسلام، بمعناه الحضاري الذي يتجاوز نطاق الشعائر والطقوس فلا يقتصر عليها وحدها. ففي هذه العلاقة نفي للتناقض المزعوم بين الدائرة القومية والدائرة الإسلامية وترتيب لأولويات العمل انطلاقًا من الدائرة الوطنية فالقومية فالإسلامية، فالإنسانية.

ندعو إلى تأمل علاقة «العروبة» بـ «الإسلام»، وما تعطي هذه العلاقة من مكتسبات وملامح في مشروعنا الحضاري الذي نفكر فيه.

• وندعو إلى تأمل «الوسطية الإسلامية» كمعيار للتوازن

وسعت على الموازنة التي غدت ملمحاً من ملامح شخصيتنا الحضارية، ومن ثم فإنها ملمح من ملامح مشروعنا الحضاري الذي ندعو إليه.

إنني أتصور أن «وسطيتنا الإسلامية» هذه ستحقق لمشروعنا الحضاري ذاتية متميزة:

■ ففي النظرة للإنسان: وسطية تراه خليفة لله في الأرض، وليس السيد المطلق فيها للكون، والمحايد بين الخليفة المسئول.

■ وفي الحرية: الاختيار في حدود الثوابت التي تمثل إطار الاختيار، ومن ثم فهي وسطية بين الليبرالية المطلقة وبين الشمولية المطلقة. قد تكون «الديمقراطية الموجهة» هي أقرب الصيغ للتعبير عنها: اتفاق على الثوابت والمعايير وإطار المشروعية، ثم تعددية في السبل والمناهج والفروع والتفاصيل.

■ وفي الاقتصاد: ملكية الرقبة في الثروة القومية لله وحده، والأمة ككل مستخلفة عن الله في الأموال، فلا مكان للحرية الاقتصادية والملكية الفردية بمعناها المطلق في الفلسفة الليبرالية الغربية، ولا مكان كذلك لتجريد الإنسان الفرد من أي حق في التملك الذي يحفزه للخلق والتنمية والإبداع، لأن كون «الملكية الحقيقية لله» يصحبه كون الملكية المجازية للفرد، أي ملكية المنفعة، التي هي الوظيفة الاجتماعية للمال.

■ وفي طبيعة السلطة وعلاقة الدين بالدولة: توسط بين «الكهانة ووحدة الدين والدولة» وبين «العلمانية وفصل الدين

عن الدولة يتجسد في التمييز بين الدين والدولة. فالدولة في مشروعنا الحضاري إسلامية، الشريعة بمقاصدها المهيمنة عليها والمرجعية في قانونها، لكنها ليست الدولة الدينية التي تحكم بالحق الإلهي و رجال الدين فتضفي العصمة والقداسة على البشر وتشريعاتهم باسم الدين.

- وفي مفهوم «الأمة» نتوسط بين المفهوم القومي العلماني - الذي يستبعد الدين من الفلسفة المكونة للأمة - وبين المفهوم الكهنوتي - الذي يستبعد غير المسلمين من إطار «الأمة». فالأمة بالمعنى القومي تستوعب كل الذين وحدت بينهم السمات القومية، فهم جميعًا أمة المواطنة يستوون ويتساوون في حقوقها وواجباتها. ثم هم جميعًا يجمعهم الاحتكام إلى الشريعة - التي هي في أعلى مبادئها - قانون وضعي محكوم بإطار الإسلام وحدوده وروحه.

وعلاقة هذه الأمة بالدين علاقة وثيقة. فدين الله واحد هو دين التوحيد في الألوهية والإيمان بالبعث والعمل الصالح. وفي إطار هذا «الدين» الذي هو واحد أزلًا وأبدًا تتعدد وتتعدد «الشرائع» - التي هي طرق التدين بهذا الدين - أزلًا وأبدًا. كذلك فالوحدة في الدين والتعدد في الشرائع الدينية والاحتكام إلى شريعة الإسلام المدنية - التي لا نقيض لها ولا بديل عنها في الشرائع غير الإسلامية - هي صيغة الوفاق والاتفاق بين الأغلبية المسلمة والأقليات غير المسلمة في المشروع الحضاري الذي ندعو إليه.

ومكان الإسلام في تحديد مفهوم «الأمة» هو الرباط الذي يجمع الأقليات المسلمة غير العربية إلى الأغلبية التي جمعت بين العروبة والإسلام.

تلك نماذج لملامح من هذا المشروع الحضاري العربي الإسلامي، وهي بالطبع لا تخرج عن إطار النموذج الذي ينتظر كما علت الجهود الفردية والجماعية التي تغنيها وتكملها، حتى تتحول إلى مشروع مؤهل لأن ينهض بالأمة وتنهض به الأمة من واقعها الراهن، الذي تكالبت عليها فيه التحديات، وخاصة تحدي «التغريب» وتحدي «التخلف الموروث».

وإن كنا نعتقد بالأهمية التي تمثلها هذه النماذج لهذه ملامح من «المشروع الحضاري» المنشود، فإن الأهم هو الاتفاق على:

- مبدأ التمايز الحضاري، والتعددية الحضارية.
- وضرورة الاستقلال الحضاري لأمتنا العربية الإسلامية.

ثم نجتهد جميعنا في بلورة ملامح هذا المشروع الكافل لأمتنا النهضة والاستقلال.

تلك هي الكلمة السواء التي ندعو إليها كل الذين يؤمنون بأن الاستقلال الحضاري هو طوق النجاة لأمتنا العربية الإسلامية من مخاطر التحديات التي فرضها ويفرضها أعداؤها الكثيرون.



الأزهر والتغريب

تمهيد

* أما الأزهر فهو رغم انعدام الحاجة إلى تعريف عشاهير الأعلام

ذلك «المسجد – الجامع – الجامعة» الذي اقترن عند مه بقدوم القاهرة، فأعقبا تحول مصر من دور «الولاية» في مركز «الخلافة»، فكان منارة أهلتها لتنهض بعبء هذا الدور الجديد

لقد شرع جوهر الصقلي [١٨٣١هـ – ٩٩٢م] في بنائه في [٢٢ جمادى الاولى سنة ٣٥٩هـ – ٣ ابريل سنة ٩٧٠م] وتم بناؤه بعد عامين [٩ رمضان سنة ٣٦١هـ – ١٤ يونيو ٩٧٢م]

وفي جانب الصلاة بدأت تلقى فيه دروس العلم في صفر سنة ٣٦٥هـ اكتوبر سنة ٩٧٥م، أواخر عهد الخليفة المعز لدين الله [٣١٩ – ٣٦٥هـ = ٩٣١ – ٩٧٥م]

فلما كان عهد الخليفة العزيز [٣٦٥ – ٣٨٦هـ = ٩٧٥ – ٩٩٦م] استوى الأزهر جامعة علمية ومنارة فكرية، بها العلماء والطلاب من كل الأجناس والأقاليم والمذاهب، وكان ذلك في سنة [٣٧٧هـ – ٩٨٨م] ثم توالت الحروب وتبدلت الدول، وتغيرت النظم، وتنوعت صروف الدهر والأزهر باق يزداد رسوخًا وتتزايد دوره، ويتوهج ضياؤه فلقد حفظ العربية والإسلام فغدا أمة في حياة أهلها مكانة الحصن والحارس الذي نهض وينهض بتجديد مصر الله سبحانه عز من

قال ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(١)

هذا عن الأزهر.

■ أما «التغريب» فإنه الحاضنة الفكرية للحضارة الغربية لتميزه بطابعها المادي وغير المعتقدة بالأسطورة «المؤلهة» تكون والحاجة إلى فصل الدنيا عن الدين، وتحرير الدولة من إطار الدين، وتنحية النصوص والمأثورات الدينية من طريق العقل في كافة الميادين.

وإذا كانت حملة بونابرت [١٧٦٩ - ١٨٢١م] على مصر [١٢١٣هـ - ١٧٩٨م] قد مثلت طلائع الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة على ديار العروبة وعالم الإسلام فإن هذه الغزوة الحديثة قد تعلمت من الغزوة الصليبية [٤٨٩ - ٦٩٠هـ = ١٠٩٦ - ١٢٩١م] أهم الدروس. فالصليبيون قد جاءوا إلى بلادنا فرسانا مقاتلين، ليس وراءهم فكر وليست لديهم مواهب حضارية ولا يملكون سوى الجهل والفروسية والتدمير. ولذلك فقد أفرز وطننا العربي مؤسسات فروسية ودولها [زنكية وأيوبية ومملوكية]، وقهر بها الفرسان الصليبيين ثم سحقت الغزوة الصليبية وراءها دونما آثار. وكان تحرير السلطان الأشرف بن قلاوون [٦٨٩ - ٦٩٣هـ = ١٢٩٠ - ١٢٩٣م] لمدينة عكا من يد الصليبيين في [١٧ جمادى الآخرة سنة ٦٩٠هـ - ١٧ يونيه سنة ١٢٩١م] القضاء المبرم على جميع آثار تلك الغزوة التي استمرت قرابة القرنين من الزمان.

(١) الحجر ٩

لقد تعلمت الغزوة الاستعمارية الحديثة من سابقتها درسا خطيرا وخطرا: فجاءت معها بفكر حضارتها المنتصرة جنبا إلى جنب مع أدوات الدمار الحربي التي أخرجتها تلك الحضارة فبأدوات الدمار تفتح الأرض وتقبض على منابع الثروة، والمعادن والبحار والأسواق والأموال لتنهب ثروات عالم الإسلام واقتصاديات خيراته وثقافاته ... والقواعد العسكرية تحول ... إلى هامش تحقق الأمن لأوربا الاستعمارية وبالفكر التغريبي تتم أسر العقل العربي والمسلم حتى ينسلخ عن موقعه الحضاري العربي الإسلامي المتميز فيتحول هو الآخر إلى هامش للحضارة الأوربية المنتصرة.

بل لقد رأى ساسة هذه الغزوة ومنظروها أن التغريب والنجاح في سحق الشخصية القومية المتميزة للعرب والمسلمين وتحويل أمتنا إلى هامش لحضارة الغرب هو الضمان لتأبيد النهب الاقتصادي لبلادنا ولبقاء هذه البلاد قواعد لأمن الغرب حتى بعد زوال الشكل السافر والمسلح للاحتلال فالتغريب يضع العرب والمسلمين في «الأسر الحضاري» وتصبح تبعيتهم للغرب هدفا يسعى إليه التابعون.

* * *

ولقد كان الأعداء على وعي تام بأن العروبة والإسلام، هما حصن هذه الأمة عبر تاريخها الطويل وخلال كل الصراعات التي خاضتها في ذلك التاريخ. فمنذ أن ظهر الإسلام عقد التاريخ لواء قيادة الشرق للأمة العربية. ومنذ ذلك

التشريع كانت صيحته «واإسلاماه» هي صرخة الصحوات وتقف في مقدمة الأمة ضد ما فرض عليها من مخاطر ودواهم وطمس عن تحديث.. ومن هنا كان اتجاه سهام التغريب إلى «العربية» و«الإسلام».. ومن ثم كان إحداق مخاطر مخاطر التغريب بالأزهر حصن العربية، وقلعة «الإسلام».. وكان الدور الرائد والقوي الذي نهض به الأزهر في أخطر ميادين صراع أمتنا ضد الغزوة الاستعمارية الحديثة.

حقًا لقد أحكم الاستعمار قبضته على أجهزة الدولة فصبغها بصبغته الإدارية، بل ونجح في أن يحقق قدم حضارته الغربية المعمار ونموذجه ومصادر المشروعية في هذه الأجهزة.. وبعد فكريته التغريبية بواسطة «كتائب الاستشراق» وأساتذة الاستشراق لدى صفوة من المثقفين تحت لمساحة الكبرى من عقليتها.. وغدت القوانين المستمدة من فلسفة حضارته هي التشريع هي السائد والحاكم في مؤسسات القضاء بدلا من فقه المعاملات الذي أبدعه فقهاؤنا العظام.. وتحولت مؤسساتنا الدستورية ومعها دساتيرنا إلى صورة شبه متطابقة في الغرب الاستعماري.. وغدت الدار العربية تستقي «الرؤى» و«الأفكار» و«المعايير» في الأدب والفن، بل لقد استعرنا أدوات التعبير كما استعرنا القوالب الفكرية وغدت مشاكل حتى نجدها في حيثيات الفكرية مكتسبات للتطور التي ابتدعها الغرب لما اختصت به مجتمعاته من إشكالات.. وفي العلوم ومناهجها، وفي الفلسفة ومقولاتها سادت مذاهب

[illegible] الأد[illegible] وإلى بعض العقل [illegible]
[illegible] عن وصف الإسلام [illegible]
[illegible] واحد من [illegible]
[illegible] كثير [illegible] وكذلك
[illegible] الكون [illegible] الشرق في [illegible] عليه [illegible]
ومتوسطيهم [illegible] صورة [illegible] هي عليه في
[illegible] وأصبحت صحفنا [illegible]
[illegible] العرب وغدت المرأة الحريم مملوكة
[illegible] لا ترجع إلى صورة العربية الإسلامية [illegible] في
[illegible] في [illegible] والرأي في [illegible]
في تكوين الأسرة [illegible] المجتمع الإسلامية [illegible]
ومشاركة في [illegible]
[illegible] المرأة العربية [illegible] الاستبداد [illegible]
[illegible] وأشهدوه [illegible]
الأحزاب [illegible] المصريات [illegible]
[illegible] فضلاً عن [illegible]
[illegible] الغرب الاستعماري في هذا [illegible] وظهر
[illegible] عن [illegible] إلى [illegible]
[illegible] والكتاب [illegible]

هكذا وعلى هذا النحو [illegible]
[illegible] عقول [illegible]
[illegible] في جامعات العرب [illegible]

جامعات العربية اللهم إلا من عصم الله من شر هذا الطوفان الطاغي الذي اقتحم ديارنا على ركام الاستعمار الحديث

الأزهر

لكن الأزهر ظل في موقفه متمسكا بالعربية والإسلام، ومدافعا عنهما ورافضا كل ألوان التغريب ومقاوما للسياسات [illegible] التي رفضت [illegible] وقد من [illegible] الأكثر من [illegible] حتى ظهرت [illegible] في رفض التغريب [illegible] الإسلامية التي [illegible] من أجل الإسلام السياسي والدولة الإسلامية

وهنا من حقنا [illegible] واحدا من التساؤل

[illegible] الاستعمار دون كبير عناء [illegible] التغريب في [illegible] حاصر به الأزهر [illegible] على [illegible] رغم ما للأزهر من تاريخ عريق [illegible] في العربية والإسلام من [illegible] مستقلة [illegible] مع معركة التغريب [illegible] لم تتسع الدائرة الواضحة للتغريب من حول أزهرنا العريق؟

في اعتقادنا أن السبب الرئيسي في ضعف إمكانيات الأزهر لمقاومة تيار التغريب كامن في أن الهجمة التغريبية قد داهمت الأزهر وهو في لحظة ضعف، وأنه قد خاض معركته هذه وهو شبه ما يكون منزوع سلاحه [illegible] وعلى الأقل سلاحه الأفعل في مثل هذا الصراع

لقد عاش الأزهر حياة مصر والعروبة والإسلام كلها حتى نقول في الأمة وينفعل بها، يقوى بقوتها ويضعف بضعفها، فلما كانت العصور الوسطى، وسيطرت السلطة العسكرية المملوكية لا العجمية على الدولة، دخلت حضارتنا دور الأفول فتوقف الإبداع والحلول والاجتهاد في ميادين العربية، والإسلام، وبعد مرحلة «الجمع والتصنيف» المملوكية انحدرت إلى مرحلة الشروح والحواشي والتهميشات العثمانية فضعفت فعالية مشيخة الأزهر عن التراث، وعن موجات فكرية للغرب بلدان تلك التي جاءت مسلحة بثمرات إبداع حضارة مستمرة، ملكت العلم وتصنيفاته وملكت الأرض وأحكمت قبضتها على رقاب المستضعفين.

وقد أسهم في زيادة ضعف الأزهر عن مقاومة ما أصابته به العثمانيون خلال القرون الثلاثة التي سبقت غزوة الاستعمار وهجمة التغريب.

■ فالسلطان العثماني سليم [٨٧٥ - ٩٣٦هـ ١٤٨٠ - ١٥٢٠م] عندما فتح مصر [سنة ٩٢٣هـ ١٥١٧م] نزف من عروقها أزكى دمائها وحملها معه إلى بلاده، فقد نزع من مصر ألفًا وثمانمائة إنسان، منهم أبرز الصناع والعلماء والمبدعين في مختلف الفنون والصناعات، ومنهم بعض قضاة القضاة وبعض الفقهاء! لقد نزع عقل مصر من أبرز حملته وصنّاعه فزادت حسرتها بفقدهم عن حسرتها في التحف والنفائس والمصنوعات والآثار التي اغتصبها هذا السلطان من المساجد والأضرحة والقصور وحملها له قوافل الجمال إلى الآستانة!

وقد تعطلت بمصر خمسون صنعة، وأصاب الضعف والعطب مكتبات الأزهر الشريف.

■ وبعد أن كان الأزهر يمد مصر فضلا عن غيرها باقتصاده، أصبحت مصر للأتراك منذ محرم سنة ٩٢٩هـ نوفمبر سنة ١٥٢٢م [1].

■ وكانت المدارس التي بنيت بمصر منذ عصر صلاح الدين الأيوبي [٥٣٢ - ٥٨٩هـ = ١١٣٧ - ١١٩٣م] قد غدت الامتداد المادي والفكري للأزهر تدرس فيها علومه ويتخرج فيها العلماء على منهجه، فجاء العصر العثماني ليدمرها ويحطمها، حتى يتحدث علي مبارك باشا [١٢٣٩ - ١٣١١هـ = ١٨٢٣ - ١٨٩٣م] عن ذلك في [الخطط] فيقول: "فقد أهمل أمر المدارس، وامتدت أيدي الأطماع إلى أوقافها وتصرف فيها النظار على خلاف شروط واقفيها، ومنعوا الصرف على المدرسين والطلبة والخدمة فأخذوا في مفارقتها وصار ذلك يزيد في كل سنة عما قبلها، لكثرة الاضطرابات الحاصلة بالبلاد، حتى انقطع التدريس منها بالكلية، وبيعت كتبها [2] وانتهبت، ثم أخذت تتشعث وتتخرب، فمدت أيدي الظلمة إلى بيع رخامها وأبوابها وشبابيكها حتى صار بعض تلك المدارس الفخمة والمباني الجليلة زريبة أو حوشا أو غير ذلك ولله عاقبة الأمور" [3].

١ [illegible] ج٢ ص [illegible] طبعة القاهرة سنة [illegible]م.
٢ المصدر السابق ج٢ ص [illegible].
٣ علي مبارك [الخطط] [illegible] ج٣ ص [illegible] طبعة [illegible] سنة ١٩٨١م.

■ وقد انعكس الفقر المادي والفكري الذي مر بالحقبة العثمانية على الأزهر فرانت غربة عن العلوم التي أبدعها السلف والتي درست عنها صفحة الأزهر الحضارية ووقف التدريس فيه عند الكتب التي ألفها «علماء» العصر المملوكي العثماني وهو العصر الذي توقف فيه الإبداع وأغلق فيه باب الاجتهاد بل واقتصر التدريس غالبًا على علوم الوسائل والأدوات حتى لقد عدت علوم وفنون مثل المنطق والفلسفة والتاريخ والجغرافيا غريبة برئت منها الكثير من الشيوخ ويخشون ضررها على الإسلام!

وفي الحوار الذي يحكيه المؤرخ الجبرتي [١١٦٧ - ١٢٣٧هـ = ١٧٥٤ - ١٨٢٢م] والذي دار بين الوالي التركي أحمد باشا [كور وزير] - وبين شيخ الأزهر الشيخ عبد الله الشبراوي [١٠٩٢ - ١١٧١هـ = ١٦٨١ - ١٧٥٧م] تجسيد للحالة الفكرية التي بلغها الأزهر [١١٦٢هـ = ١٧٤٩م] أي قبل نصف قرن من حملة بونابرت وبدء هجمة التغريب.

قال التركي: المسموع عندنا بالديار الرومية [التركية] أن مصر منبع الفضائل والعلوم وكنت في غاية الشوق إلى المجيء إليها فلما جئتها وجدتها كما قيل: «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه».

شيخ الأزهر: هي يا مولانا، كما سمعتم معدن العلوم والمعارف

الوالي: وأين هي؟ وأنتم أعظم علمائها، وقد سألتكم عن مطلوبي من العلوم فلم أجد عندكم منها شيئ، وغاية تحصيلكم الفقه والمعقول والوسائل ونبذتم المقاصد.

شيخ الأزهر: غالب أهل الأزهر لا يشتغلون بشيء من العلوم الرياضية إلا بقدر الحاجة إلى علم الفرائض والمواريث.

الوالي: وعلم الوقت كذلك من العلوم الشرعية بل هو من شروط صحة العبادة، كالعلم بدخول الوقت واستقبال القبلة وأوقات الصوم والأهلة، وغير ذلك.

شيخ الأزهر: نعم معرفة ذلك من فروض الكفاية وهذه العلوم تحتاج إلى لوازم وشروط وآلات وصناعات وأمور ذوقية كرقة الطبيعة وحسن الوضع والخط والرسم والتشكيل والأمور العطاردية وأهل الأزهر بخلاف ذلك غالبهم فقراء وأخلاط مجتمعة من القرى والآفاق فيندر فيهم القابلية لذلك».

هكذا أصبحت الفلسفة العقلية بالأزهر مفقودة منذ بداية الشهور العارس التي ملئت هذا المجال، وصببت بالعقم الفكري الذي كان سمة لهذه الحقبة في كل المجالات وجميع الولايات. وهكذا جاءت الهجمة الفرنسية الغربية تجد الأزهر أشبه ما يكون بالفارس الذي يحمل سلاحًا تراكم عليه الصدأ وعلاه الغبار.

(١) الجبرتي، عجائب الآثار، ج٢، ص ٨٢-٨٣، طبعة لجنة البيان العربي، القاهرة سنة ١٩٥٩م.

لكن الأزهر مع [illegible] لم يستسلم [illegible] لذلك

يستسلم لتيار التغريب. لقد حصن موقعه، فعجز، لأكثر من قرن

ونصف من تأثيرات التغريب. ومن وسط المجتمع الذي [illegible]

التغريب الاستيلاء [illegible] على [illegible] يعود الأمة إلى ذاتها وهويتها

الحضارية المتميزة، والتي بدونها لن يتحقق لها الاستقلال

الحقيقي عن التبعية للاستعمار.

والأمر الذي يثير الدهشة والإعجاب معاً أن الأزهر في معركته هذه التي قاوم بها التغريب قد استخدم كل أسلحته السلبي منها والإيجابي على حد سواء!

المقاومة بـ «المحافظة»:

في صراع [illegible] ضد التحديات التي فرضتها علينا الأعداء [illegible] على [illegible] واستمرت من قبل [illegible] لا يفقهون الحداثة والعنف [illegible] التي [illegible] هذه التحديات على الجزائر مثلاً، وعندما مارس الاستعمار الفرنسي قهر [illegible] لسحق القومية للشعب الجزائري ومسخ الهوية الحضارية للأمة [illegible] فرنستها وسلخها عن العروبة واستمر [illegible] عن الإسلام [illegible] الجزائريون [illegible] عن ذاتيتهم الحضارية وهويتهم القومية بكل ما أتيح لهم [illegible] من أسلحة [illegible] وعندما أصبح التقليد يعني الفرنسة والانسلاخ عن الهوية المتميزة عن المستعمرين أصبحت «الأمية» سلاحاً [illegible] به العامة واعتصم به الجمهور ضد الذوبان في حضارة الاستعمار فالذين ظلوا على «أميتهم» ظلوا عرباً مسلمين حتى قيض الله

بنسغى قيادته العربية المسلمة المناضلة ممثلة في [جمعية العلماء المسلمين بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس [١٣٠٥ - ١٣٥٩هـ = ١٨٨٧ - ١٩٤٠م] فخاضوا المعركة المقدسة التي أعادت الجزائر إلى أحضان العروبة والإسلام.

وفي صراع الصدام الحضاري مع الغرب صنع الصراع لأكثر من علماء الأزهر شيئاً شبيهاً في مواجهة الفكرية التي لا تعترف بغير «العقل» - بمفهومه اليوناني - والتي تمثل نهج الحضارة الأوروبية التي لم تعترف عقلانيتها بالوحي والنصوص والمأثورات. فتحصن جمهور علماء الأزهر - والأزهر كمؤسسة تعليمية - بالنقل والنصوص والمأثورات.

وكانت الحضارة الغازية قد ارتبطت «بالعقل» وبفتنة «العلمانية» ورجحت كفتها كثيراً في الرجحان عند عقلانية الصفوة بينها وبين الفكرية التي سادت في العصر المملوكي العثماني. ورفضاً لهذه الحضارة الغربية تمسك الأزهر كمؤسسة والجمهور الأعظم من علمائه بهذه الفكرية التي سادت في تلك القرون. فقد اعتصموا بالقديم على علاته خوفاً من «الجديد الغريب» وانطووا على الذات، خوفاً من الاستلاب، حذراً من أن يقتلعهم «الجديد الوافد».

ولقد كان لهذا الموقف «المحافظ» على القديم بل والمتسم «بالجمود» في محافظته هذه منطقه الذي فرضته ظروف الصراع، فالمحافظة على الذات بما فيها من سلبيات خير من فقدانها بالكلية. وبقاء القديم على علاته أولى من سيادة الجديد التغريبي الذي يهدد بسحق الشخصية القومية

والهوية الحضارية للأمة. وفي الحالة الأولى: المحافظة والجمود، تبقى الذات، وتبقى مكانة تحديثها وتطويرها [illegible] في الحالة الثانية: التغريب، فإن الخطر يحدق بمستقبل الأمة الحضاري ويهدد بسبب الذوبان.

لكن [illegible] كثيرة من المحافظين على القديم والاعتصام به قد [illegible] المحافظة إلى حد «الجمود»، وكانت مواقفهم تجاه مواقف «التغريب» [illegible] وهو [illegible] وموقف لا يخلو من الوحشة ولا يعدم منه [illegible] [illegible] في [illegible] عصره وعلى ضوء الخطر الذي يتصدى له الحديث في الاعتبار المعرفية بين هذه [illegible] [illegible] للأمة [illegible] وبين [illegible] [illegible] كما [illegible] [illegible] [١٢٥٤ - ١٣١٤هـ ١٨٣٨ - ١٨٩٦م] [illegible] الطرق [illegible] [illegible] جيوش الغاصبين، يمهدون لهم السبيل ويفتحون الأبواب [illegible] أقدامهم

والمقاومة بـ«التجديد»

لكن [illegible] من [illegible] على الأزهر رفضوا موقف الجمود، ورأوا [illegible] الكلمة في مقاومة التغريب [illegible] [illegible] [illegible] يدعون قومهم إلى ضرورة «التجديد»، باعتباره الطريق الأكثر أمنًا، والسبيل الأفعل في الحفاظ على ذاتية الأمة الحضارية والنجاة بمستقبلها من الذوبان في حضارة الغزاة

(١) [الأعمال الكاملة [illegible]] ص ١٩٧ [illegible] دراسة وتحقيق د. محمد عمارة. طبعة [illegible] سنة ١٩٦٨م

لقد انتصروا إذن للمحافظة والجمود والاكتفاء على فكرية الحقبة المملوكية العثمانية قد تضمن نجاة المحافظين من الذوبان والتغريب لكنها لن تضمن نجاة الأمة من هذا الخطر الداهم لأن مذهب المحافظة والجمود لا يقدم البديل الذي ينافس ما يقدمه المتغربون بل إن ما لدى المحافظين لا يعدو فكرية عفى عليها الدهر ولا علاقة لها بجوهر فكر الإسلام وإبداع المسلمين في عصر الازدهار الحضاري.

لقد أبصر أعلام التيار التجديدي هذه الحقيقة وطرحوا منطقهم الجديد:

• إننا إن لم نجدد فقه المعاملات ونطوره بالاجتهاد فستدفع الناس تحت إلحاح الضرورة والافتقار إلى البديل ستدفعهم لتبني القوانين الوضعية على ما فيها من خلاف للشريعة ومخالفة للدين!

• وإننا إن لم نجدد أساليب الكتابة والتعبير ونطور اللغة العربية كي تستوعب فكر العصر وعلومه فإننا نفتح الباب واسعًا لدعاة الكتابة بالعامية وتدريس العلوم بلغات «الفرنجة»، وتبني مذاهب الغرب وأساليب أهله في التعبير!

• وإن نحن لم نجدد فكرنا الإسلامي فنخلصه من شوائب العصور المظلمة وخرافاتها ونحيي العقلانية الإسلامية المتميزة بتطويرها، غلبتنا على عقول الناشئة واستولت عليها رغمًا عنا فلسفات الغرب اللادينية!

فالتجديد سيصبح أن يحيي من فكرنا الإسلامي المطلق والمصدر والمكون الأول لنمط حضاري متميز سيقدم نفسه للأمة باعتباره السبيل لنهضتها الحديثة وبعثها القومي الجديد. وبذلك يقدم الأزهر – باسم الإسلام – وبمشاركته بالبديل المنافس، عن جدارة واقتدار، لعلمانية التغريب التي تبشر بحضارة الغرب سبيلا أوحد للنهضة والتقدم. أما المحافظة والجمود فلن يفلح أنصارهما في إنقاذ المحافظين من التغريب، لأنهم لعجزهم عن تقديم البديل الصالح والقادر على منافسة الحضارة الغربية المنتصرة، وفي المدى الطويل، يمثلان أكبر خدمة تقدم لدعاة التغريب، فالمحافظة والجمود سيدعان الأمة فريسة سهلة سرعان ما تقع في شرك المتغربين.

هكذا فكر وبشر المجددون من تابعي علماء الأزهر الشريف. وعلى هذا الدرب التجديدي تواصلت حلقات أعلام التجديد وتتابعت أجيال حلقاته وصارعوا تيار المحافظة وتيار التغريب كليهما.

الشيخ حسن العطار [١١٨٠ – ١٢٥٠هـ / ١٧٦٦ – ١٨٣٥م]

أما طليعة هذا التيار التجديدي فهو حسن العطار، ذلك الشيخ الذي حركت هزيمة الدولة العثمانية فاطلع على مواطن ضعفها ثم اقترب من علماء الحملة الفرنسية على مصر يتعلم لغتهم الفرنسية ويقرأ كتبهم ويطلع على تجاربهم العلمية ويتدبر ما حققوه في العسكر ووسائلهم في التعمير، وبعض أسرار قوتهم.

وبعد أن شخص الشيخ العطار مواطن ضعفنا وأسبابه ومظاهر قوة الغرب وعوامله أدرك أن انقطاعنا عن علوم حضارة

العربية الإسلامية الحقيقية والوقوف عند علوم الوسائل والأدوات وإهمال علوم المقاصد والغايات هو الذي يحول بين الأمة وبين امتلاك سلطان العلم الذي امتلكته أوربا فتسلحت به وجاءت لتستعبد بقوته وجبروته أمة الإسلام فالتصدي لأوربا لن يكون بالمحافظة والجمود ولا بالتحجر [illegible] والتغرب ومن هنا كانت صيحة العطار أن بلادنا لابد أن تتغير أحوالها وتتجدد بها من المعارف ما ليس فيها

لقد [illegible] في العلوم والفنون [illegible] معاصريه [illegible] غريبة عن الأزهر بل [illegible] ووجه طلابه إلى دراسة هذه العلوم [illegible] ثم [illegible] عصره عن دراسة هذه العلوم في حضارتنا وتراثنا [illegible] العلوم الشرعية فقال: إن من تأمل في [illegible] السابقين يجد أنهم كانوا [illegible] مع رسوخ قدمهم في العلوم الشرعية – لهم اطلاع عظيم على غيرها من العلوم والكتب التي [illegible] حتى كتب [illegible] في العقائد ثم هم مع ذلك – ما احتاجوا في [illegible] الأسفار والتصانيف المختصرات

ثم يمضي العطار [illegible] هذا [illegible] خلف عن أسلافه في عصره، أولئك [illegible] عند [illegible] وعجزوا عن [illegible] والإبداع والاجتهاد [illegible]

[illegible]

وقوفهم عند مؤلفات عصور الانحطاط دون عصور الازدهار والإبداع منقولون. ومن نظر في ذلك وجد ما انتهى إليه الحال في زمان وقف فيه علم كل منهم بمعرفة عدة أهل زمانهم

قال: فصارى أمرنا النقل عنهم بدون أن نخترع شيئاً من عندنا، وقد قصرت على النظر في كتب محصورة ألفها المتأخرون المستمدون من كلامهم، نكررها طول عمرنا، ولا تطمح نفوسنا إلى النظر في غيرها حتى كأن العلم فيها

وفيما يتعلق بتحديث شيء آخر، تخفف العطار من تسجيع والمحسنات للقصة، وأدخل فن الكتابة في دروسه بالأزهر، ولفت أنظار طلابه إلى الأمهات في فن الشعر العربي ككتاب الأغاني للأصفهاني، وشارك في تحقيق النصوص القديمة مشاركة عملية في توثيق هذه النصوص وتقويم عباراتها. ووجه المشهورين من تلاميذه الشيوخ إلى تدريس الأشعار والأخبار ومن تصوير وتحليل وسائل البيان

ولقد انعكس هذا الاتجاه التجديدي للشيخ العطار في المصادر التي اهتم بالكتابة وبالتعليق عليها فوجدت له في الحكمة والمنطق والكلام والعلوم البحتة مثل الهندسة والطب والتشريح والفلك نحو من ثلاثة عشر كتاباً

١ انظر [illegible] ص [illegible] ٢٣٢ [illegible] سنة ١٣١٦هـ

٢ [illegible] ص [illegible] [illegible] ص [illegible] [illegible]

٣ [illegible] الصحافة العربية [illegible] ص ١٣٩ [illegible] سنة ١٩٦٢م

[الشيخ رفاعة الطهطاوي ١٢١٦ - ١٢٩٠هـ = ١٨٠١ - ١٨٧٣م]

وثاني أبرز هؤلاء المجددين، هو الشيخ رفاعة، تلميذ الشيخ العطار.

لقد تخرج الطهطاوي في الأزهر سنة ١٨٢٢م وسافر ... بالتدريس فيه عامين ... في الجيش عامين ثم سافر إلى باريس خمس سنوات ... ضمن طلاب البعثة العلمية في ... لكي يتعلم هناك الفرنسية وعلومها ... فلما عاد إلى الوطن سنة ١٨٣١م أصبح إماماً للحركة الفكرية والنهضة التعليمية على حد سواء.

والبعض يتوهم ... من فرط إعجاب الطهطاوي بعلوم الحضارة الأوربية أن الرجل كان الصيغة لدعوة التغريب على حين ... من أبرز دعاة التجديد لحضارتنا العربية الإسلامية.

● لقد وعى الطهطاوي تراث أمته، وعرف أن العلماء في تراثنا الحضاري لم يكونوا هم الفقهاء فقط. ولقد وجد ... في تدريس علماء الأزهر قد خاصم علوم الحضارة، ووقف عند علوم الشريعة، ... من منطلق من يضرب المثل ... ولا يتوهم ... علماء الفرنسيين هم القسوس ... يطلق على من له معرفة في العلوم العقلية ... هؤلاء النصارى في

العلوم عندنا الآن، ولذلك نعرف خلو بلادنا عن كثير منها، وإن الأزهر، وجامع بني أمية بالشام، وجامع الزيتونة بتونس وجامع القرويين بفاس، ومدارس بخارى، ونحو ذلك، كلها زاخرة بالعلوم النقلية، وبعض العلوم العقلية، كالمنطق ونحوه من العلوم الآلية.

■ أما علوم المقاصد والغايات، والتي خاصمها الأزهر يومئذ، وأساء بها ظنًا، وخاصة عندما رآها متداولة بين يدي الأوروبيين، فإن الطهطاوي يدعو إلى تعلمها، فهي علوم إسلامية الأصل إسلامية الانتماء، وهي علوم التمدن المدني، ولم تضاد الشريعة ولا استغرب الحضاري أن جاورت هذه العلوم علوم الشريعة في مناهج الأزهر الشريف، فهو يدعو علماء الأزهر وشيوخه إلى أن يضيفوا إلى علوم الشريعة معرفة سائر المعارف البشرية المدنية التي لها مدخل في تقدم الوطنية(1). فهذه العلوم الحكمية العملية(2) التي يظهر الآن أنها أجنبية هي علوم إسلامية نقلها الأجانب إلى لغاتهم من الكتب العربية، ولم تزل كتبها إلى الآن في خزائن ملوك الإسلام كالذخيرة(3).

■ بل إن الطهطاوي، وهو يدعو ينهض بالمسئوليات الرائد في التمدن المدني، على عهدي محمد علي باشا [١١٨٤ - ١٢٦٥هـ = ١٧٧٠ - ١٨٤٩م] والخديوي إسماعيل

(١) [الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي] جـ٢ ص ٤٦١.

(٢) أي المتعلقة بحكمة وعلة، والخاصة بالتطبيقات، ويقابلها علوم الغايات المستمدة من الوحي، والتي تتقيد بها مصر وطنية.

(٣) [الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي] جـ١ ص ٥٢٤.

[١٢٤٥ - ١٣١٢هـ ١٨٣٠ ١٨٩٥م] – يحدثنا عن أن «مزج علوم الحضارة بعلوم الشريعة في الأزهر هو وحده الكفيل بتحقيق الآمال، «فمدار سلوك جادة الرشاد، والإصابة منوط بجمعية الأزهر، التي ينبغي أن تضيف إلى ما يجب عليها من نشر السنة الشريفة، ورفع أعلام الشريعة المنيفة معرفة سائر المعارف البشرية»

واليوم وبعد نحو قرن من كتابة الطهطاوي لكلماته هذه، نتساءل ترى لو وضعت أفكار الرجل في التطبيق أكان هناك مجال لما حدث من ازدواجية في مؤسسات التعليم أتاحت للتغريب نصيب الأسد في هذه المؤسسات؟

■ وعندما استجابت الدولة للتأثيرات التغريبية الاستعمارية ولم تستعض عنها بتجديد محافظ بالاجتهاد الفقهي الذي يجعل الشريعة تلبي احتياجات العصر فطلبت من الطهطاوي أن يترجم القانون الفرنسي – من باب العلم بالفكر القانوني الأوربي ولا ثم تصاعدت ضغوط التغريب فحل هذا القانون الفرنسي شريعة للمحاكم المختلطة – كتب الرجل ليذكر قومه بتراثهم الإسلامي في فقه المعاملات، وليدعو إلى تطويره بالاجتهاد كي يلبي احتياجات العصر فلا تقع مؤسساتنا القانونية والقضائية في أسر التغريب كتب يقول: «والمعاملات الفقهية لو انتظمت وجرى عليها العمل لما أخلت بالحقوق بتوفيقها على الوقت والحال، وما هو سهل العمل على من وفقه الله بذلك من ولاة

(١) المصدر السابق ج١ ص ٥٢٣

الأمور المستقبلية. ذلك أن من أمعن النظر في كتب الفقه الإسلامية ظهر له أنها لا تخلو من تنظيم الوسائل النافعة من المنافع العمومية، حيث بوبوا أبواب المعاملات الشرعية أبوابًا مستوعبة للأحكام التجارية كالشركة، والمضاربة، والقرض والمخابرة والعارية والصلح، وغير ذلك

■ وكما كان الطهطاوي صريحًا في دعوته للأخذ بأسباب التمدن المادي المتجلي في الحضارة الأوربية فقد كان صريحًا كذلك في دعوته للحفاظ على تمايزنا الفكري والثقافي عن الطابع المادي في الحضارة الأوربية، والذي جعل عقلانيتها منكرة للوحي والشرع. فنبه الطهطاوي ويحذر من الوقوع في شركه وحبائله وهو يحكي كيف أن للأوربيين في العلوم الفلسفية حشوات ضلالية مخالفة لسائر الكتب السماوية ويقيمون عليها أدلة يعسر على الإنسان ردها ... كتب الفلسفة بأسرها محشوة بكثير من البدع. وليس لنا أن نعتمد على ما يحسنه العقل أو يقبحه إلا إذا ورد الشرع بتحسينه أو تقبيحه فتحسين النواميس الطبيعية لا يعتد به إلا إذا قرره الشرع

فالعقل الذي يتحفظ الطهطاوي على تحسينه وتقبيحه للأشياء ما لم يرد الشرع بحسنها أو قبحها هو العقل في الحضارة الأوربية المنكر للنقل، والذي لا يتخذ من الوحي إطارًا يتحرك فيه. أما العقل في حضارتنا فذلك الذي رأس

(١) المصدر السابق جـ١ ص ٣٦٩

(٢) المصدر السابق جـ ص ٤١

العقل» وباحث معه في النهاية للإنسان الدنيوي لدى الأمة احتواؤهما فهو مما تتميز به حضارتنا وتنفرد. وبهذا مدعوون من قبل الطهطاوي والنهضة التي كان عنها علينا إلى التخلي عن هذا الذي يميزنا حضاريا عن الأوربيين.

الإمام محمد عبده [١٢٦٥ - ١٣٢٣هـ = ١٨٤٩ - ١٩٠٥م]

أما الإمام محمد عبده فلقد كان أبرز أعلام هذا التيار التجديدي، وأعظم من تكونت للتجديد من حوله مدرسة في تاريخنا الحديث. لقد نضج عقل الإمام ومصر رازحة تحت الاحتلال الإنجليزي. ومن آفات الهزيمة تقليد المهزومين للمنتصر تقليدا أعمى، وأكثر ما يكون في التشكيلات والتنظيمات الأمر الذي زاد من مخاطر التغريب. وعلى الجانب الآخر نتج عجز المحافظة والجمود في الصراع ضد المتغربين، خصوصا مع مركزية السلطة الاستعمارية لتيار التغريب. وأمام هذا الاستقطاب الذي جعل الأمة فريقين: المتغربين، وأهل الجمود عن الاستنارة، الإمام رفضه لكلا الموقفين، وبشر بالموقف الثالث الداعي إلى تجديد دنيا الأمة عن طريق تجديد دينها، بتنقية أصوله وجواهره من غبار عصور الانحطاط. وقد حدثنا عن هذا الموقف الثالث الداعي لتحرير العقل الإسلامي كي ينهض بأمته ويبعث حاضرها ويبني مستقبلها انطلاقا من الأصول وعصور الازدهار، وبالتجاوز لمرحلة الجمود والانحطاط. حدثنا عن هذا الموقف فقال: «لقد نشأت كما نشأ كل واحد من الجمهور الأعظم من الطبقة الوسطى من سكان مصر، ونختلف فيما فيه يختلفون

ثم لم ألبث بعد قطعة من الأرض أو سنة الاستمرار على ما يألفون واندفعت إلى طلب شيء مما لا يعرفون فعثرت على ما لم يكونوا يعرفون عنه وناديت بحسن ما وجدت ودعوت إليه وارتفع صوتي بالدعوة إلى:

١- تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى واعتباره من ضمن موازين العقل البشري فهو صديق للعلم باعث على البحث في أسرار الكون داع إلى احترام الحقائق الثابتة مطالب بالتعويل عليها في أدب النفس وإصلاح العمل

٢- إصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير

٣- التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة

وقد خالفت في الدعوة إليه رأي الفئتين العظيمتين اللتين يتركب منهما جسم الأمة طلاب علوم الدين ومن على شاكلتهم وطلاب فنون العصر ومن هو في ناحيتهم

وعلى حين كان تيار المحافظة يرفض التجديد والتغيير في علوم الأزهر وطرق التدريس فيه وتيار التغريب يدعو إلى البدء من حيث انتهت أوربا لنصبح أوربيين نفكر كما يفكرون ونحب

(١) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ج٢ ص ٣١٨، ٣١٩ دراسة وتحقيق د. محمد عمارة طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م

كما يحيلون ... عند الأستاذ الإمام إلى الموقف الثالث، الرافض لدعوتي الجمود والتغريب على حد سواء

■ فهو ينتقد منهج التعليم في المدارس الأميرية وفي المدارس الأجنبية ... ينتقد مناهج الأزهر الشريف

■ وهو قد عقد الأمل على الإصلاح على تجديد المؤسسات الدينية الكبرى الثلاث الأزهر والقضاء الشرعي والأوقاف وتحدث عن ... إصلاح الأزهر وتجديده هو صون الإسلام له من الخراب [1]

■ وانتقد التقليد ... وهاجم ... وأكد ... ومجد العقلانية الإسلامية التي جعلت للعقل أعظم السلطان حتى في ميدان النصوص والمأثورات فالذين يقفون عند ... فهم من ... الألفاظ دون التفات إلى ما ... الأصول التي قام عليها الدين هم أضيق عقلا من المقلدين وليسوا للعلم أبناء ولا للمدنية أحباء ... والعقل هو جوهر إنسانية الإنسان وهو أفضل القوى الإنسانية على الحقيقة ... والقرآن ... وهو وحده المعجز الخارق ... قد دعا الناس إلى النظر فيه بعقولهم فهو معجزة عرضت على العقل وعرفته القاضي فيها ... وطلب منه حق النظر في أنحائها ونشر ما انطوى في أثنائها فالإسلام لا

[1] المصدر السابق ج ٣ ص ١١ ، ١١٢
[2] المصدر السابق ج ٣ ص ١
[3] المصدر السابق ج ٣ ص ٣١
[4] المصدر السابق ج ... ص ٢٨ ج ٣ ص ٢٤٩

يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه الفطري. والمرء لا يكون مؤمنا إلا إن عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به. فمن ربي على التسليم بغير عقل والعمل ولو صالحا بغير فقه فهو غير مؤمن، لأنه ليس القصد من الإيمان أن يذلل الإنسان للخير كما يذلل الحيوان، بل القصد منه أن يرتقي عقله وتتزكى نفسه بالعلم بالله والعرفان في دينه فيعمل الخير لأنه يفقه أنه الخير النافع المرضي لله ويترك الشر لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته في دينه ودنياه ... وليس هناك أدنى خلاف بين الدين والعلم فقوانين الكون التي هي موضوع البحث العلمي هي سنن الله في الأمم والأكوان، وهي ثابتة لا تتبدل. ومهما بحث الناظر وفكر وكشف وقرر وأتى بما يحكم تلك السنن فهو يجري مع طبيعة الدين وطبيعة الدين لا تتجافى عنه ولا تنفر منه»(٢).

■ وإذا كان تيار «المحافظة» الجامد عند فكرية العصر «المملوكي العثماني» قد عجز عن تقديم البديل الذي تنهض به الأمة، على حين يدعو تيار «التغريب» إلى البدء من حيث انتهت أوربا، فإن الأستاذ الإمام يدعو إلى تأسيس النهضة على الدين «فهذه سبيل تجديد الإصلاح في المسلمين لا مندوحة عنها، فإن إتيانهم من طرق الأدب والحكمة العارية عن صبغة الدين يحوجه إلى إنشاء بناء جديد ليس عنده من مواده شيء

(١) المجموعة الكاملة جـ٣ ص ١٥١، ٢٧٩، ٢٨١.
(٢) المصدر السابق جـ٣ ص ٥٠٢، ٢٨٤.

ولا يسهر عليه [illegible] يجد من عماله أحداً [illegible] كاملاً تهذيب الأخلاق وصلاح الأعمال وحمل النفوس على طلب السعادة من أبوابها، ولا أهلية من [illegible] لهم في غيره وهو [illegible] لديهم والعناء في إرجاعهم [illegible] لا يصدم بهم به، فلم لعدو عنه إلى غيره»[1]

وأساس النهضة على الدين لا يعني الوقوف عند حدود علوم الشريعة لأن كل العلوم الأخرى هي إسلامية بمقدار ضرورتها لأنها من أمة الإسلام وتحريرها وتطوير حضارتها وتعمير مجتمعها. فالنهضة إسلامية وسبق الأوربيين وسبقهم يتطلب من ولاة أمور المسلمين تجديد الدين والدنيا معاً «ولو رزق الله المسلمين حاكماً يعرف دينه ويأخذهم بأحكامه، لرأيتهم قد نهضوا والقرآن الكريم في إحدى اليدين ومن ورائه الأوربيون وما اكتشف الآخرون في اليد الأخرى ذلك لآخرتهم ولدنياهم ولسبقوا يزاحمون الأوربيين فيزحمونهم»[2]

* * *

تلك صفحات من قصة الأزهر مع التغريب الذي كان ولا يزال الخطر الأكبر الذي تهدد ويتهدد [illegible] منذ بدء الغزوة الاستعمارية الحديثة، قبل قرنين من الزمان.

إنها صفحة مشرقة في تاريخ الأزهر نزهو بها على مؤسسات التي سقطت كلياً أو جزئياً في براثن التغريب

1- المصدر السابق جـ3 ص 331
2- المصدر السابق جـ2 ص 351، 352

فقد كان للأزهر في هذا الميدان شرف رفض ومقاومة شارك في ذلك المحافظون من أبنائه «والمجددون».

وإذا كانت قصة الصراع بين الأزهر وبين التغريب — والتي هي في الحقيقة قصة صراع حضارات متميزة متوسطة وبين ورثت بين الدين و«الدنيا» بين «الحكمة» و«الشريعة» بين «العقل» و«النقل» بين «القديمة» و«الحديثة» بين «الفرد» و«المجموع» بين «الجسم» و«الروح» بين «الشك» و«اليقين» هي قصة صراع حضارتنا هذه ضد حضارة الاستبداد والعنف والتعصب وتنازع البقاء. إذا كانت هذه القصة مليئة بالدروس والعبر والعظات الصالحة للاستلهام، فإن أولى المؤسسات باستلهام دروسها وعبرها وعظاتها هو الأزهر الشريف. فكثيرون يريدون أن تطمس عقولهم إلى أن ينصب الأزهر من «المجددين» لن يوقعه في شرك التغريب الذي تعرض لشرف مقاومته واستعصائه عليه لأكثر من قرن ونصف من الزمان.

فإذا كان التجديد واردًا ومطلوبًا فهو سيقطع عبر «التغريب» وسنتأرجح بين صقل الذات، بتجديد الأصول وتطويرها وبين مسخ الذات عندما نتجاوز الثوابت والمميزات

وبعد..

فلا نحسب أن ثمة شكا في أن أمة مصر منذ لم تعد كافة بها وهي تخوض معركة تحررها من بقايا العروة الاستعمارية العربية الحديثة لم يعد كافيا لها ولا محققا لأهدافها أن تقف عند حدود:

- «الاستقلال السياسي» وما يرمز له من «علم» و«نشيد».
- والاستقلال الاقتصادي وخاصة إذا كان يعني التنمية على النمط الغربي والمرتبطة به، لأنها ستكون عندئذ تنمية للتبعية تفقد سببها بالاستقلال، بل وتنتقص المعنى الحقيقي للاستقلال.

ولا بد من أن تضيف أمتنا إلى شعاراتها، المعبرة عن أهداف معركتها ضد الاستعمار، شعار

- الاستقلال الحضاري لأنه هو الذي يعطي شعاري «الاستقلال السياسي والاستقلال الاقتصادي» مضمونهما الحقيقي والصادق ويحقق ما وراء تحقيقهما من غايات وأهداف، كما أنه هو الضامن لرسوخ الاستقلال الوطني والقومي في وجه محاولات التسلط والاحتواء التي تعددت سبلها

وحققت أساليبهم على الذين لا يختلفون عن سعي الاستقلال
الحضاري الأصيل ولتغيب الفكر المعارض والأهداف التي نسعى
الأمة لتحقيقها في معركتها ضد الاستعمار

* * *

وعلينا أن نتذكر ونعي دروس التاريخ في تاريخ صراع
منطقتنا وأمتنا ضد موجات الغزو الاستعماري التي هجمت
علينا ديارنا عبر تاريخ طويل

■ فعندما فتح العرب مصر بقيادة عمرو بن العاص
[٥٠ق هـ - ٤٣هـ = ٥٧٤ - ٦٦٤م] لم يكن هزيمة جيش
البيزنطيين وجلاء حامياته عن مصر كافية لتحقيق الاستقلال
الحقيقي لمصر عن البيزنطيين لأن مذهبهم الديني الملكاني
كان قد اضطهد مؤسسات الفكر والدين في البلاد واقتلع
مذهب شعب مصر عن فكريته وأيديولوجيته المذهب
اليعقوبي وطارده إلى الصحراء ومن هنا كانت إعادة
عمرو بن العاص للبطرك القبطي بنيامين [٣٩هـ - ٦٥٩م] إلى
مركز التوجيه الفكري وإعادة كنائس مصر ومؤسساتها الفكرية
إلى شعبها ومذهبها وفكريتها كان هو الأساس والتحول الفكري
والحضاري هو المحسوس والمعبر عن أن مصر قد تحررت حقيقة
من احتلال البيزنطيين

■ وعندما انتصرت الأمة على غزوة الفرنجة
الصليبيين [٦٩٠هـ - ١٢٩١م] لم تواجه نتيجة هذا النصر فقط

كانت الغزوة الصليبية هجمة بربرية لا يمكن سوى العنف والدمار، ومن ثم لم يخلفوا ... عندما رحلت جيوشهم عن بلادنا أية آثار فكرية يمكن أن تظل فيروسا تشد عقل أمتنا إلى ركبهم، فتنتقص من حقيقة الاستقلال الذي تحقق بهذا الجلاء

أما مع الغزوة الاستعمارية الحديثة والتي تعددت فيها معارك التخلص من ... في الأمر أكثر حضورا ... تعقيدا فقد جاءت هذه الغزوة بحضارة متحضرة ... أسرع بريقها عقول فريق من صفوة مفكرينا واستهوى أسلوب عيشها قطاع عريض من ... مكان ... أصبح الغرب حبيب ... فكان لابد من صراعه ... تحرر ... تحقيق المعنى الكامل للاستقلال

في العقل، وفي الوجدان، وفي المؤسسات الفكرية والتعليمية والتشريعية وفي المنتدى والصحيفة والكتاب والإذاعات المسموعة والمرئية ودور المسرح والسينما الخ الخ .. هناك مهام ومهام للذين يدركون أن الاستقلال الحقيقي، والتحرر الكامل من جميع الآثار الضارة للغزوة الاستعمارية الحديثة لن يتحقق إلا بالاستقلال الحضاري، الذي تعود به أمتنا العربية الإسلامية لتحتل مكانها الطبيعي واللائق في منتدى الأمم العريقة صاحبة الحضارات العظيمة والمتميزة ومن ثم تسهم في ثراء الفكر الإنساني من جديد مواصلة بذلك مسيرة أسلافها العظام

وبقدر عصمة الأمة بحد... تحقيق أكبر قدر من وضوح الرؤية للغايات» «وللوسائل والسبل» لكي تحقق هذه الغايات.

إن هذه الرؤية العقلية على كل الموروث الحضارية هو السبيل إلى تلافي مخاطر الذبول والموات.

وإن التمييز بين ما هو ضروري ونافع في دعم ذاتيتنا الحضارية المتميزة ومشروعنا الحضاري الخاص وبين ما هو ضار وناسخ لذاتيتنا ومشوه لتميزنا وناسخ لاستقلالنا، إن هذا التمييز هو القضية الأعقد وهو الجهاد الأكبر في ميدان التفاعل بين حضارتنا وغيرها من الحضارات.

فما أسهل أن ينحاز البعض إلى قوقعة العزلة والانغلاق، وما أسهل أن ينخرط البعض في موكب التبعية الفكرية للغرب.

ومن هنا كان التجديد للموروث والتطوير للخصوصية ودعمهما بعوامل القوة التي أثمرتها إبداعات الحضارات الأخرى هو الميدان الحقيقي للجهاد الأكبر الذي وجب ويجب على كل قادر على الإسهام في هذا الجهاد بنصيب قل أو جل هذا النصيب.

ولنتذكر دائماً أن التجديد من خلال مشروع حضاري متميز هو السبيل إلى النهضة والعودة على حين كان ولا يزال التحديث على النمط الغربي - وهو في جوهره «تبعية» - السبيل إلى بقائنا هامشاً ملحقاً بـ مركز التحدي الغربي.

(١) [الأعمال الكاملة جمال الدين الأفغاني] ص٢٢٧-٢٢٨

فنتأمل ونحن نختم هذه الصفحات عن الاستقلال الحضاري .. كلمات الرجل الذي أراد بفكره ونضاله هذا الطريق في عصرنا الحديث.. كلمات جمال الدين الأفغاني التي تقول:

"إن نهوضنا وتمدننا إذا لم يؤسس على قواعد ديننا وقرآننا فلا خير لنا فيه، ولا يمكن التخلص من وصمة انحطاطنا وتأخرنا إلا عن هذا الطريق. وإن ما نراه اليوم من حالة ظاهرة حسنة فينا، من حيث الرقي والأخذ بأسباب التمدن، هو عين التقهقر والانحطاط، لأننا في تمدننا هذا مقلدون للأمم الأوربية وهو تقليد يجرنا بطبيعته إلى الإعجاب بالأجانب، والاستكانة لهم، والرضى بسلطتهم علينا، وبذلك تتحول صبغة الإسلام التي من شأنها رفع راية السلطة والغلب، إلى صبغة خمول وضعة، واستئناس لحكم الأجنبي"

المصـــادر

ابن أبي الحديد [شرح نهج البلاغة] تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. طبعة القاهرة سنة ١٩٥٩م

ابن باديس [كتاب آثار ابن باديس] طبعة الجزائر سنة ١٩٦٨م

ابن رشد أبو الوليد [فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال] دراسة وتحقيق د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٧٢م

ابن عبد الوهاب [رسالة مفيدة طيبة]

[رسالة مفيدة في أصول الدين]

منشورة ضمن [مجموعة التوحيد] طبعة المكتبة السلفية بالقاهرة

ابن القيم [إعلام الموقعين] طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م

أحمد صدقي الدجاني دكتور [الحركة السنوسية] طبعة بيروت سنة ١٩٦٧م

أمين سامي باشا [تقويم النيل] طبعة القاهرة سنة ١٩١٦م

الجبرتي [عجائب الآثار في التراجم والأخبار] طبعة القاهرة سنة ١٩٥٨م

جمال الدين الأفغاني [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق د. محمد عمارة- طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م وطبعة بيروت سنة ١٩٧٩م

حسن العطار [حاشية العطار على جمع الجوامع] طبعة القاهرة سنة ١٣١٦هـ

صفي الدين البغدادي [مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع] تحقيق علي البجاوي. طبعة القاهرة سنة ١٩٥٤م

- الطهطاوي: رفاعة رافع [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق د. محمد عمارة. طبعة بيروت سنة ١٩٧٣م

عبد الكريم الخطيب [الدعوة الوهابية] طبعة القاهرة سنة ١٩٧٤م

علي سامي النشار دكتور [مناهج البحث عند مفكري الإسلام] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧م

علي مبارك [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق د. محمد عمارة طبعة بيروت سنة ١٩٨١م

عمر طوسون [البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الأول وسعيد] طبعة الإسكندرية سنة ١٩٣٤م
الغزالي: أبو حامد [المنقذ من الضلال] طبعة القاهرة. طبعة بدون تاريخ
فيليب دي طرازي [تاريخ الصحافة العربية] طبعة بيروت سنة ١٩١٣م
الكواكبي: عبد الرحمن [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق د. محمد عمارة. طبعة بيروت سنة ١٩٧٥
لوثروب ستودارد [حاضر العالم الإسلامي] ترجمة عجاج نويهض تعليقات شكيب أرسلان طبعة بيروت سنة ١٩٧١م
محمد عبده: الإمام [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق د. محمد عمارة. طبعة بيروت سنة ١٩٧٢م
محمد عبد الغني حسن [حسن العطار] طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨م
محمد عمارة: دكتور [العرب والتحدي] طبعة الكويت سنة ١٩٨٠م
[الإسلام والعروبة والعلمانية] طبعة بيروت سنة ١٩٨١م
[مسلمون ثوار] طبعة بيروت سنة ١٩٧٤م
[العروبة في العصر الحديث] طبعة بيروت سنة ١٩٨١م
[تيارات الفكر الإسلامي] طبعة القاهرة سنة ١٩٨٣م
محمد فؤاد عبد الباقي [المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم] طبعة دار الشعب القاهرة
المهدي: محمد أحمد [المنشورات المهدية] تحقيق د. محمد إبراهيم أبو سليم. طبعة بيروت سنة ١٩٦٩
هانوتو: جابرييل [الإسلام والرد على منتقديه] مجموعة مقالات طبعة القاهرة سنة ١٩٢٨م
ونسنك: أ. ي. [المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف] طبعة ليدن ١٩٣٦ - ١٩٦٩م

الفهرس

الموضوع	الصفحة

أحدث إصدارات

الأستاذ الدكتور
محمد عمارة

ضمن سلسلة (فى التنوير الإسلامى)

١ - الصحوة الإسلامية في عيون غربية
٢ - الغرب والإسلام
٣ - أبو حيان التوحيدي
٤ - ابن رشد بين الغرب والإسلام
٥ - الانتماء الثقافي
٦ - التعددية .. الرؤية الإسلامية والتحديات الغربية
٧ - صراع القيم بين الغرب والإسلام
٨ - د. يوسف القرضاوي: المدرسة الفكرية والمشروع الفكري
٩ - عندما دخلت مصر في دين الله
١٠ - الحركات الإسلامية رؤية نقدية
١١ - المنهاج العقلي
١٢ - النموذج الثقافي
١٣ - تجديد الدنيا بتجديد الدين
١٤ - الثوابت والمتغيرات في اليقظة الإسلامية الحديثة
١٥ - نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم
١٦ - التقدم والإصلاح بالتنوير الغربي أم بالتجديد الإسلامي ؟
١٧ - إسلامية الصراع حول القدس وفلسطين
١٨ - الحضارات العالمية تدافع؟ أم صراع؟
١٩ - الحملة الفرنسية في الميزان
٢٠ - الأقليات الدينية والقومية تنوع ووحدة؟ أم تفتيت واختراق؟
٢١ - مخاطر العولمة على الهوية الثقافية
٢٢ - الغناء والموسيقى حلال أم حرام ؟
٢٣ - هل المسلمون أمة واحدة ؟
٢٤ - السنة والبدعة
٢٥ - الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان
٢٦ - تحليل الواقع بمنهاج العاهات المزمنة
٢٧ - القدس بين اليهودية والإسلام
٢٨ - مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبا (شهادة ألمانية)
٢٩ - السنة النبوية والمعرفة الإنسانية
٣٠ - الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين
٣١ - مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية
٣٢ - السنة التشريعية وغير التشريعية
٣٣ - شبهات حول الإسلام
٣٤ - السلام الاجتماعي للأمة الإسلامية
٣٥ - شبهات حول القرآن الكريم
٣٦ - أزمة العقل العربي
٣٧ - في التحرير الإسلامي للمرأة
٣٨ - روح الحضارة الإسلامية
٣٩ - الغرب والإسلام افتراءات لها تاريخ
٤٠ - السماحة الإسلامية
٤١ - الشيخ عبد الرحمن الكواكبي هل كان علمانيا؟
٤٢ - أزمة الفكر الإسلامي المعاصر
٤٣ - إسلامية المعرفة ماذا تعني؟
٤٤ - الإسلام وضرورة التغيير
٤٥ - النص الإسلامي بين التاريخية والاجتهاد والجمود

أحدث إصـــدارات

الأستاذ الدكتور
محمد عمارة

إصدارات أخرى للدكتور/محمد عمارة

* معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام
* القدس الشريف رمز الصراع وبوابة الانتصار
* الوسيط في المذاهب والمصطلحات الإسلامية
* الإسلام والتحديات المعاصرة
* الإسلام في مواجهة التحديات
* الإصلاح بالإسلام... معالم المشروع الحضاري
* الغارة الجديدة على الإسلام (بروتوكولات قساوسة التنصير)
* الاستقلال الحضاري



الاستقلال الحضاري

- يعالج هذا الكتاب قضية محورية، من خلال دراسات ثلاث، تمثل أقساما ثلاثة في هذا الكتاب:

١- الاستقلال الحضاري.. وماذا يعني في النهضة المنشودة لأمتنا.

٢- والعلاقة بين «موروثنا» العربي الإسلامي و «الوافد الغربي».

٣- ونموذج تطبيقي لهذه العلاقة، من خلال دراسة موقف واحدة من أعرق مؤسساتنا الفكرية والتعليمية - [الأزهر] -.. موقفه من «التغريب» و«الجمود» و«التجديد».

- ووصولاً إلى الإسلام في بلورة «معالم المشروع الحضاري» الذي ينير لأمتنا طريق الخروج من مأزقها الحضاري، يناقش هذا الكتاب عدداً من القضايا الفكرية الخلافية ..والشائكة:

- معالم الهوية العربية الإسلامية.. وموقعها من «الثبات» و«التغيير».
- والموقف من الحضارات الأخرى.. أهو «التفاعل» .. أم «التبعية».. أم «الانغلاق»؟

- إنها «معالم للنهضة» .. و«دليل عمل» للإقلاع الحضاري .. يحاول أن يقدمهما هذا الكتاب.

الناشر



